المنهج السلفي

بين العداء والمضاء

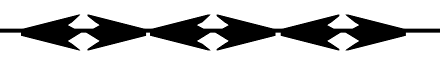
متابعات وتعقيبات على أحداث الثورة

والدكتور على جمعة

بقلم

عاطف بن عبد المعز الفيومي

طريق المصلحين



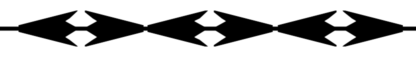
المنهج السلفي
بين العداء والمضاء

متابعات وتعقيبات على أحداث الثورة والدكتور على جمعه

تأليف

عاطف بن عبد المعز الفيومي

طريق المصلحين





الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

تنبيه

بريد المؤلف

sheikhatef@maktoob.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على رسول الله – محمد بن عبد الله – وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الدعوة الإسلامية دعوة الحق، دعوة ماضية إلى يوم القيامة بموعود الله تعالى ورسوله، ومنتصرة في نهاية الطريق الطويل ولا ريب، ولا يشك في هذا، أو يتزعزع فيه إلا منافق معلوم النفاق.

وفي الفترات المتأخرة من حياة الأمة الإسلامية، وقع فيها أنواع وألوان من الذل والاستبداد واستعلاء سلطان الباطل كثيرًا، ذلك لما حل بالعالم الإسلامي من عقبات ونكبات، وهجمات استعمارية، جعلت خلفها جيلًا جرارًا، من تلاميذهم، الذين سلطوا على شعوبهم المسلمة باسم الحكم والسلطان تارة، وباسم الثقافة والعلم تارة أخرى.

وهؤلاء جميعًا جمعوا بين الجهل بحقائق الإسلام الصافية، الذي هو دينهم وملتهم، وبين التقليد الأعمى، والاستغراب الزاحف من بلاد الإفرنج والغرب، وهذا لا عجب فيه إذا وقع منهم، إذ أن هذا من عواقب الإعراض عن منهج الله ورسوله وشريعته.

إلا أن الله تعالى من سننه الجارية التبديل والتغيير، وهذا من عدله وحكمته تعالى، فقد وقع في هذا العام ١٤٣٢ للهجرة، الموافق ٢٠١١ مسيحي، عدد من الثورات والتطورات في كثيرًا من الدول العربية والإسلامية، والتي تطالب بحقوقها، وتطالب بأحلامها في طريق التحرر من الظلم والاستبداد، الذي طالهم عدة عقود كثيرة متتالية.

إلا أن هناك عدد من الذين لا يريدون خيرًا بالأمة من مـدارس العلمانيـة والليبراليـة وغيرها، يريدون سرقة هذه الثورات مرة أخرى إلى حظريتهم، والاستقواء بالغرب ثانيـة على أهل ملتهم وأوطانهم، ولا شك أن هذا الأمر خيانة لله والرسول والوطن.

حتى أن هناك أيضًا من يتحدث باسم العلم والدين، وقـع في هـذا المسـتنقع الآثـم، وجهر بعدائه للاتجاهات السلفية، التي تريـد الطريـق إلى الإسـلام وفـق مـنهج الكتـاب والسنة، كما كان عليه السلف الصالح.

وقد نثرت بفضل الله تعالى عدة كلمات ومقالات في كل ذلـك منهـا مـا كـان بموقـع الألوكة الإلكتروني الدعوي، على شبكة المعلومات، ومنها في مواقع أخرى، وقـد سـألت الله تعالى التوفيق والإخلاص والسداد، وكتبت ذلك دفاعًا عما اعتقد أنه الحق.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعـلى آلـه وصحبه أجمعين..

كتبه

أبو شهاب الدين

عاطف بن عبد المعز الفيومي

فيصل – الجيزة

الفصل الأول

المنـهج السلفي وطريق التغيير والإصلاح

أحداث تونس ومصر وطريق التغيير والإصلاح

إنَّ الذي وقع الآن على أرض تُونُس، ويقع على أرض مِصْر، ورُبَّما طال بعض البلاد الإسلاميَّة الأخرى، لَهُو أمر حَتْم، وكان ولا بُدَّ، نعَم؛ لأنَّ تأريخ العالَمِ الإسلاميِّ والعربي مُشْرِقٌ مضيء، فحضارتنا الإسلاميَّة والعرَبِيَّة إنَّما أقامها الإسلامُ بِشُروق شمسه وشريعته، وببعثة النبيِّ الهادي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، في حين أنَّ أوروبا كانت ترتع في ظلماتٍ من التِّيه والجهل والضلال.

ولما أنْ تَخلَّفت الأُمَّة الإسلاميَّة اليوم بِبُعدها عن مصدر سعادَتِها، ومنبع هدايتها، وقَع عليها مِن ألوان الذُّل والاستعمار والقهْرِ الكثيرُ والكثير، وهذا هو عَيْنُ ما ذكَرَه الله تعالى في كتابه العزيز، فقد قال تعالى: ﴿ **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٣].

وفي ظلِّ هذه الأحداث المُتتالية، نرى الَّذي وقع الآن رُبَّما نَجِده في الأصل يعود إلى أمْرَيْن رئيسِيَّيْن:

أوَّلاً: السِّياسات المعاصرة منبَعُها العلمانيَّة والغرب:

فالمتأمِّل بنظرةٍ ثاقبة إلى تأريخ الواقع المعاصر في العالَمِ الإسلاميِّ والعربي، يرى بِوُضوحٍ أنَّ جلَّ "الحكومات" و"الأنظمة" و"الأحزاب" التي تَحْكم شعوبَه إنَّما هي أنظمة مُوالِيَةٌ للغَرْب والعلمانيَّة، وهي تستمدُّ قوَّتَها في إنشاء القوانين والدساتير - وكما يقولون "التشريعيَّة"، أو "الشرعية" - من أصولِ العلمانيَّة الغربية، وليس من منهج الإسلام وشريعته.

وإذا نظَرْنا إلى "العلمانيَّة" على حقيقتها، نَجِد أنَّها مذهبٌ غرْبِيٌّ طارئٌ على العالَم الغرْبِي، مذهبٌ خارج على منهج الكنَسِيَّة والعبادة، منهجٌ لا يَدِين لله تعالى بِسُلطان على البشريَّة، ولا يُعْطي لله حقًّا أن يُمدَّ لَها منهجًا ربَّانيًّا يُضِيء لَها الطريق في هذه الحياة الدُّنيا، مذهبٌ لا يُعبِّد النَّاس لَرِبِّهم وخالقِهم، ولا يجعل لله تعالى دِينًا يَحْكمهم ويهديهم.

إنَّ العلمانية تَعْني: فَصْل الدِّين عن الحياة، فَصْلَ المخلوق عن منهج خالقه ومعبوده، فلا دَخْلَ للدِّين في شؤُون الإنسان، لا في مأكله وملبسه، ولا في اقتصادِه وحُكْمِه وسياسته، فلا يقول الدِّين للإنسان: هذا حلالٌ، وهذا حرام، ولا يقول أيضًا: هذا شِرْك، وهذا إيمان، إنَّ العلمانية في إيجاز هي: اللاَّ دين، وكما قال قائلهم: "دَعْ ما لِقَيصر لقيصر، وما لله لله".

• **إنَّ العلمانية تَعْني:** الطَّعن في الشريعة الإسلامية، وأنَّها شريعةٌ بالِيَة، ذاتُ طقوس وشعائر لا تُمارَس إلاَّ في دُور العبادة.

• **وإن العلمانية تعني:** إحياءَ الوثنيَّات القديمة، كالفِرْعونيَّة وغيرها، وشَغْلَ الأجيال بتعظيم هذا التُّراث البائد، ودَعْم المُؤَسَّسات ودُور الثَّقافة؛ لإحياء الجاهلية من جديد على صفحة التاريخ البشَري.

• **وإن العلمانية تَعْني:** الوقوفَ أمام تَحْكيم الشريعة الإسلامية؛ لأنَّها عندهم ليست مَنْهجَ حياةٍ، وهذا عَصْر الحُرِّية وزمانُها، فلْيَعبد مَن شاء ما شاء.

• **وإنَّ العلمانية تعني:** مُحاربة القِيَم والأخلاق والحضارة الإسلامية؛ لأنَّها تَعْمل على هَدْم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين العبد والمعبود، فلا رقابة لله عليه ولا سُلْطان، ولا ثوابَ ولا عقاب، ولا جنَّة ولا نار، فالمرأة في العلمانيَّة حُرَّةٌ في جسَدِها،

تهبه مَن شاءَتْ، وتتحرَّك بإرادتِها متَى وكيف شاءتْ، فلا دين يَحْكُمها، ولا زوج يَأْمُرها، ولا أبَ يؤدِّبُها، ولا قرآن يَهْديها.

وكذلك العمل على نَشْر الشُّذوذ الجنسيِّ والإباحيَّة بلا خجل أو وجَل، فالعلمانية تعني الكُفْر بالآخرة؛ إذْ لا ثواب ولا عقاب، ومِن ثَمَّ لا حساب، وهذه هي العلمانيَّة في كلمات.

حصاد العلمانيَّةِ المُرُّ:

ونحن نسأل الآن: ماذا قدَّمَت العلمانيَّةُ للبلاد الإسلامية والعربيَّة، بعد حكمها هذه السنوات الطويلة؟ وماذا أنتجَتْ من ثِمارٍ وحصاد؟

إنَّ وجود العلمانية في بلاد الإسلام في واقعها المعاصر، أدَّى بالأمَّة إلى الفرار من الدين، ليس إلى التحضُّر والتقدُّم، ولكن إلى مستَنْقَع الفاحشة والعُرْي والزِّنا، والفرار إلى الخَنا والإباحيَّة، والإسفاف بالأخلاق والتميُّع بالقِيَم، فماذا حصدَت الأُمَّةُ من وراء ذلك؟

ما حصدت إلاَّ ضياع الأعراض، وانتِهاك الحُرُمات، وفساد الأخلاق وانْحِلالها، وانتشار الفواحش والعُرْي علَنًا، وتَمرُّد الأجيال، وانتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة؛ كالزُّهري والسَّيَلان المَنوِي، وأخطرها مرض الإيدز المُدمِّر، والذي لا يزال الطِّبُّ الحديث عاجزًا عن معرفة طُرُق الشِّفاء منه.

وفَرَّت الأُمَّة كذلك إلى التعامُل الرِّبَويِّ وإعلان الفوائد المحرَّمة، والإسهام في البورصات العالَميَّة والاستثمارية، فما حصدَتْ إلاَّ انتشارَ الفقْرِ والبطالة بين الأجيال المتلاحقة، وما حصدَت إلاَّ انتشارَ الفساد الاقتصادي، والسَّرقة المُعْلَنة في مقدَّرات الأُمَّة وثرواتِها وممتلكاتها.

وفرَّت الأمَّة أيضًا إلى تحكيم القوانين الوضعيَّة المستوردَة، فما حصدت إلاَّ ضياع نِعْمة الأمن والأمان، وظهور الحرام بكلِّ صُوَره وأشكاله؛ مِن أَخْذِ الرِّشوة، والسرقة، وشهادة الزُّور، وأكل الرِّبا، وأكْل أموال الناس بالباطل، وما حصدت إلاَّ استعباد الأُمَم الكافرة لها، وتَحَكُّمها فيها، وإدارة شؤونها وحياتِها ومقدَّراتِها، والعبَث بِأَمْنِها وأخلاقها وعقيدتها، حتَّى صارت الأُمَّة قَصْعة مستباحةً لكلِّ أحد، وغنيمةً مُشْبِعة، ولعبة مسلِّية بأيدي العابثين.

هذه بعض الثِّمار المُرَّة للعلمانية المعاصِرَة في العالم الإسلامي، فضلاً عن آثارها وجراحها في العالَم الغَرْبي والأوربِّي نفسه، والتي لا طريق للخلاص منها إلاَّ بِمَنهج الله تعالى وشريعته.

إذًا، فالذي يَحْدث الآن أمْرٌ كان ولا بُدَّ أن يكون، بعد تقدير الله تعالى وحكمته وعدْلِه، ثُمَّ لأَنَّنا أُمَّة دينُها الإسلام، ومنهَجُها القرآن، وتاريخها حضارةٌ إسلاميَّة وعربية عريقةٌ، ولن تستطيع أن تعيش إلاَّ في ظلِّ هذا المنهج الربَّاني الكريم، مهما جاءَتْها من أنظمة واتِّجاهات، ومهما تآمرَ عليها أهْلُ الظُّلم والجَوْر والطُّغيان.

* * *

ثانيًا: قهر الشعوب وهضم حقوقها من أظلم الظلم:

كما أنَّ الذي يحدث الآن إنَّما هو عاقبةٌ وخيمة للظُّلم والقهر للشُّعوب المسلمة، والتي أذاقَتْها الويلات والآلام تلك الحكوماتُ والسياسات، التي لا تتحاكم إلى شريعة الله ومنهجه، ولا إلى قرآنِه ونبيِّه - صلَّى الله عليه وسلَّم -.

تلك عاقبةُ الظُّلم والجَور، وتنحية الشَّريعة الإسلامية عن شؤونِ الحياة كلِّها إلاَّ النَّزْر اليسير، وأَكْلِ أقوات الشُّعوب وثرواتِها، والتميُّع للغرب الكافر، والتزلُّفِ له،

ونَهْبِهم وإفسادِهم في بلادهم، والتصدِّي للدعوة الإسلامية الصادقة ودُعاتِها وشَبابِها، ورمْيِهم بالتخلُّف والرَّجعية والجهل، وتعذيبهم وإرهاقهم في السُّجون والمعتقلات، والحَجْر على الشُّيوخ والعلماء، وتَكْميم أفواه الصَّادقين والمصلحين.

وكم جاءت نُصوص الوحْيَيْن الكريمَيْن في التحذير من الظُّلم وعواقبه في الدُّنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٥ - ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِين مِنْ حَمِيمٍ ولا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِين مِن نَّصِيرٍ ﴾ [الحج: ٧١].

وعن جابر قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((اتَّقوا الظُّلم؛ فإن الظُّلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتَّقوا الشُّحَّ؛ فإن الشُّح أهلك مَن كان قبلكم: حَمَلهم على أنْ سفَكوا دماءهم، واستحلُّوا محارِمَهم))؛ رواه مسلم.

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((مَن ظلَم قِيدَ شبرٍ من الأرض طُوِّقَه مِن سبْعِ أرضين))؛ متفقٌ عليه.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - : ((إن الله لَيُمْلِي للظَّالِم، فإذا أخذه لَم يفلتْه))، ثم قرأ: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾ [هود: ١٠٢]؛ متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر قال: أقبلَ علينا رسولُ الله- صلَّى الله عليه وسلَّم - فقال: ((يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتُلِيتم بِهن، وأعوذ بالله أن تُدْرِكوهن: لَم تَظْهَر الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنوا بِها، إلاَّ فشا فيهم الطَّاعون والأوجاعُ التي لم تَكُن مضَتْ في أسلافهم الذين مضَوْا، ولَم ينقصوا المكيالَ والميزان، إلاَّ أُخِذُوا بالسِّنين وشِدَّة المؤونة وجَوْر السُّلطان عليهم، ولَم يَمْنعوا زكاةَ أموالِهم، إلاَّ مُنِعوا القَطْر من السَّماء، ولولا البهائِمُ لم يُمْطَروا، ولَم يَنْقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلاَّ سلَّط الله عليهم عدُوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لَم تَحْكم أئمَّتُهم بكتاب الله، ويتخيَّروا مِمَّا أنزل الله، إلاَّ جعل الله بأْسَهم بيْنَهم))؛ رواه أبو داود والبيهقيُّ بسند صحيح.

والمتأمِّل في هذا الحديث الجليل يرى أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة اليومَ وقعَتْ في كلِّ هذا الذي حذَّر منه النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فكَمْ هي صُوَر الفاحشة اليوم باسْم الفنِّ والإعلام! وكمْ هي باسم الحرية الشخصيَّة!

وكم هي بِتَرْك إقامة حدود الله تعالى فيها، وإنكار المُنكر! وكم هي صور الغشِّ والتدليس على الأُمَّة! وكم هم الذين منعوا الزكاة المشروعة!

وكم هم الذين نقَضوا عهد الله ورسولِه! وكم هم الحُكَّام الذين تركوا شريعة الإسلام جانبًا، وحكَّموا قوانين البشر الهزيلة الوضعيَّة، بعيدًا عن هُدَى الإسلام!

إن الشُّعوب المسلمة قُهِرت حقًّا، ومُنِعت من حُرِّيتها الشرعيَّة، وضاعت أموالُها وثرواتُها بأيدي العابثين بها، ولا بُدَّ يومًا أن يعود الحَقُّ لأهله، وأن يُقاد للمظلوم من الظَّالِمِ كما جاء الحديث النبويُّ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - قال: ((لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتَّى يُقاد للشاة الجَلحاء من الشاة القَرْناء))؛ رواه مسلم.

* * *

الطَّريق إلى الإصلاح والتغيير:

ونَحْن بعد هذا نقول، كما قال السَّابقون من قبل: "لن يَصْلح آخِرُ هذه الأُمَّة إلا بما صَلح به أوَّلُها"، وكما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهَّ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ** ﴾ [الرعد: ١١].

إنَّ التغيير والإصلاح أمرٌ آتٍ لا مَحالة؛ لأنَّ الله تعالى له في الكون سُنَنٌ قدَرِيَّة وشرعيَّة، ولا بُدَّ من وقوعها بِحِكمته وعدله وإرادتِه، لكن على أهل العلم والدُّعاة أن يأخذوا بِحِكمة بالغةٍ - بعد وقوع هذه الأحداثِ - النَّاسَ إلى منهج الله تعالى وشريعته بقوَّةٍ وبصيرة.

عليهم أن يَغْرسوا من الآن فصاعدًا؛ أنَّ الشباب المُسلم والشُّعوب المُسلمة، لا هناء لَهم، ولا سعادة، ولا أَمْنَ إلاَّ في تطبيق الشريعة الإسلامية من جديد، وجعْلِها منهجَ حياةٍ، فلا يَكْفي المُطالَبة بِما نَمْلأ به البطونَ الخَاوية، أو ما نسدُّ به رمقَ الحياةِ وآلامَها العَصِيبة ومعيشتها، كلاَّ، كلا، إنَّما لا بُدَّ مِن أن نأخذ بيد الناس إلى نور الحقِّ، إلى شَرْع العزَّة والكرامة.

وكما قال الصَّحابِيُّ الجليل - رضي الله عنه - وهو يبيِّن منهجه وغايتَه، ويُعْلِن عن هُوِيَّتِه وشريعته، كما ذكرَتْ كتب التاريخ أنَّ سعد بن أبي وقَّاص أرسل رِبْعِيَّ بنَ

عامرٍ رسولاً إلى "رستم" قائد الجيوش الفارسيَّة وأميرهم، فدخل عليه وقد زيَّنوا مَجْلسه بالنَّمارق والزَّرابِيِّ والحرير، وأظهر اليواقيتَ واللآلِئَ الثَّمينة العظيمة، وعلى تاجِه وغيْر ذلك من الأمتعة الثَّمينة، وقد جلس على سريرٍ من ذهَب. ودخل ربْعِيٌّ بثياب صفيقة، وترس، وفرس قصيرة، ولَم يزَلْ راكِبَها حتَّى داس بها على طرَفِ البِساط، ثُمَّ نزل وربَطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل - عليه سلاحُه ودِرْعُه، وبيضتُه على رأسه - "فقالوا له: ضع سلاحك، فقال: إنِّي لَم آتِكم، وإنَّما جئتكم حين دعوْتُموني، فإنْ تركتموني هكذا وإلاَّ رجعْتُ. فقال رستم: ائْذَنوا له، فأقبل يتوكَّأ على رُمْحِه فوق النَّمارق، فخرق عامَّتَها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابْتَعثنا؛ لِنُخرج مَن شاء مِن عبادة العِبادِ إلى عبادة الله، ومِن ضِيق الدُّنيا إلى سعَتِها، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام[١].

كما ينبغي علينا ألاَّ نترك الأَمْر فضاءً للعابِثين والطَّامعين والمتسلِّقين على أكتاف الحقِّ؛ ليصلوا به إلى أطماعهم وغاياتِهم الدَّنيئة الرَّخيصة، وإنَّ تونس الْخَضراء، أرض القيراون والفتح الإسلاميِّ، لَم تقف بعد ثورتِها حتَّى الآن على أرض صلبة من التوجُّه الصحيح للمسار الْمُراد. وإنَّنا نَخْشى أن تعود الأمور كما كانت، ولكن بثوبٍ آخَر، ووَجْه آخر، وهنا مكمن الْخَطر في الصِّراع الدائر، كما أخشى أن يتكرَّر نفْسُ الواقع في مصر وبلادٍ أُخرى، وما ثَمَّة تغييرٌ يُذْكَر.

ذلك لأنَّنِي أعتقد أنَّنا في حاجة ماسَّة وضروريَّة إلى أمرَيْن، وهُما من الأهَمِّية بِمَكان في بلادنا الإسلاميَّة والعربية:

الأوَّل: الوَعْي الإسلاميُّ الشامل:

لأنَّنا نرى في مِثْل هذه الثَّوْرات - كما تُسَمَّى اليوم - راياتٍ وأحزابًا ومناهِجَ خرجَتْ للتغيير والإصلاحِ، زعَمَت، لكنَّها في الوقت ذاته لا تُرِيده تغييرًا إسلاميًّا

ولا شرعيًّا، بل إنَّها متخوِّفة ومتوجِّسة من أن يَحْكم فئةٌ ما تتبنَّى المُنهج الإسلاميَّ ولو جُمْلةً دون تفاصيله، تَخْشى من هذا وترميه بالتشدُّد والرَّجعية، وتقف وبقوَّةٍ أمام الاتِّجاه الإسلاميِّ الإصلاحي أيًّا كان حامِلُ رايته.

وهنا يَظْهر لكلِّ ذي لُبٍّ وبصيرةٍ أنَّ هذه الثَّورة لن تعود - برغم ما قدَّمَت من قوَّةٍ وشجاعة وبَذْل - بفائدةٍ تُذْكَر، ولا تغيير مؤثِّر، في حياة النَّاس وواقعِهم؛ لأنَّ أصحاب هذه الرَّايات والحزبيَّات لن يَسْلكوا الطَّريق الصحيح، لكنهم يَحْملون معهم مناهِجَ وتصوُّراتٍ بشريَّةً أخرى بديلةً عن الأخرى، وهنا تَدُور الأُمَّة في دوَّامة مفرغة وخاوية، ليس لَهَا من دون الله كاشِفَة.

ولعلَّ المستفيد الأوَّل من هذا كلِّه هو العالَمُ الغَرْبِيُّ واليهود الصَّهاينة، نعَم، هم من سيَجْني ثَمرة هذه الثَّورة على الباطل، بِخَلْق عُمَلاء آخَرين، وسياسات عربيَّة أخرى تُذْعِن لَهم، وتعطيهم بعض الذي مُنِعوا مِمَّن سبقها، وكذلك الاستفادة المُرَّة من فوضى تعمُّ العالَمَ الإسلاميَّ لا يَحْكمها ضابِطٌ ولا منهجٌ ولا سياسة، وكما يُقال عندهم: "فوضى خلاَّقة".

إنَّ الإشكال حقًّا في فقدان الوعي الإسلاميِّ الصَّحيح لدى الكمِّ العريض من جَماهير المُسلمين، أنَّهم يعتقدون أنَّ تطبيق الشريعة الإسلاميَّة، لن يُسْعِدهم، ولن يطعمهم، ولن يسقيهم، ولن يَكْسُوَهم، ولن يجعلهم مرفَّهين أعِزَّاء، ويعتقدون أنَّ الْحُكم الإسلاميَّ سيكون نوعًا آخرَ من القهر والظُّلم، وقَطْع الأيدي، ومَنْع جَميع الْحُرِّيات الحق منها والباطل، ويعتقدون أنَّهم لن يرَوُا النَّهار إلا ليلاً، ولا اللَّيل إلا ظلامًا قاتِمًا!

نعَم، هذه مفاهيمُ جاهليَّة، لا زالَتْ تُغطِّي وتعلو بِرَانِها على كثيرٍ من العقول في عصر الانفتاح الحديث، وما زال عُمَلاء الغرب والدَّهْماء يصدِّقون هذا في أُمَّتِهم وشريعتهم، ولا زال إعلامُنا المقروء والمرئيُّ والمسموع يلعب على هذا الوتر الدَّنِيء،

وكأنَّهم نسوا أو تناسَوْا ذلك التَّاريخ العريق المُشرق لِحَضارة الإسلام والعرب، ونسوا أنَّ الله إنَّما رفَعَهم وأعزَّهم بهذا الدِّين، ونسوا أنَّ العرب لَم يكونوا في خريطة العالَم شرقًا وغربًا، إلاَّ يوم أنْ جاءهم الإسلام، وأعلى هِمَمَهم، وزكَّى نفوسهم، وفتَح لَهم العلم والفهم ومغاليقَ الحياة والكون من حولِهم.

وهنا يأتي دَوْرُ العلماء والدُّعاة وطلاَّب العلم الصادقين، في عرْض الإسلام من جديدٍ بِصُورته المشرقة الشَّاملة، وبيان أحكامه وشرائعه للنَّاس، وبيان أنَّ السعادة والتغيير الحقَّ، إنَّما في هذا الدِّين واتِّباعه وتطبيقه كمنهج حياة.

كما أنَّ عليهم أن يبيِّنوا شُموليَّة الإسلام لِجميع شؤون الحياة: التعبُّدية، والتشريعيَّة، والسِّياسية، والاقتصاديَّة، وأنَّه طريق السَّعادة والخَلاص إنْ أرادوا النجاة حقًّا؛ كما قال تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦].

كما أنَّ عليهم أن يُزِيلوا من عقول جَماهير المسلمين قدْرَ جهْدِهم واستطاعتهم تلك الشُّبهات الخاوية، ويكشفوا زيْفَها وعَوارَها للنَّاس؛ ليَحْذروها، والتاريخُ الإسلاميُّ ثريٌّ بِحقائق كثيرة تَملأ الواقع بالأدلة النَّاصعة على ذلك.

الثاني: الوعي السياسي الشرعي:

لأنَّ كثيرًا من شعوبنا وأبناء أُمَّتِنا ما زالتْ تَثِق في سياساتٍ علمانيَّة وليبراليَّة مشبوهة، وما زالت تعتقد أنَّها أفضَلُ السِّياسات، لكنَّها لَم تُطبَّق على أحسن وجوهِها.

وليت شِعري أين ما سَمّوه بالدِّيمقراطية المزعومة، يوم أن وصلَتْ حكومةٌ منتخَبةٌ كحَماس في فلسطين إلى سُدَّة الحكم، لماذا لَم يتعاملوا معها كحكومةٍ شرعيَّة -

زعَمُوا - ومنتخَبةٍ بإرادة الشَّعب؟ ولِماذا وقف العالَمُ الغرْبِيُّ الخائن أمامها، ووضع يده في أيدي الصَّهاينة اليهود لِمُحاربتها من جذورها؟!

إن العالَمَ الإسلاميَّ في حاجةٍ إلى وعي سياسيٍّ شرعي بِحَق، ولستُ أقصِدُ سياسةً هزيلة عميلةً أو مستغرَبة عن بلادنا، إنَّنا نَجهل كثيرًا في باب السِّياسة الشرعيَّة والتي تَحدَّث عنها أهْلُ العلم والفقه، في حقِّ الحاكم والمَحْكوم، وفي نظام الْحُكم الإسلاميِّ والْخِلافة، وفي اختيار الرَّئيس الذي يستحِقُّ أنْ يُولَّى على ولايات الْمُسلمين، ويدير شؤون البلاد والعباد.

هل تعلم الْجَماهيرُ الْمُسلمة أنَّه لا يَحِقُّ لَهَا أن تَختار رئيسًا أو حاكِمًا أو من يتولَّى شؤونَهم وحياتَهم، إلاَّ إن كان سيُقِيم بينهم الشَّريعة الإسلامية، أم أنَّه مجرَّد والٍ وحاكم مصْلِح سياسي واقتصادي فحَسْب؟!

لماذا تُطالِبُ الشُّعوبُ حكَّامَها بالطَّعام والشراب والعمَلِ والحوافز، دون أن تُطالِبَه بإقامة الْحُكم الإسلاميِّ الشَّامل، وتطبيق منهج الله ورسوله؟!

كما أنَّنا لا نَعِي سياسيًّا مكايد اليهود والغرب الصليبِيِّ بدرجةٍ تُؤهِّلنا لِصَدِّ هذا العدوان وتلك المطامع، وتقسيم العالَمِ الإسلاميِّ والعربي إلى دويلاتٍ مُتناحرة متنافرةٍ فيما بينها، والقبض على مقدَّراتِها من النفط البتروليِّ، والاقتصاديِّ وغيرهما.

إنَّ السياسة الشرعية تُطالبنا بِمعرفة حقِّ الحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس، ومعرفة العدوِّ المتربِّص بأُمَّتِنا، وما يكيد ويُخطِّط لَهَا، والْمُطالبة بإقامة شريعة الإسلام في جَميع شؤوننا وحياتنا.

* * *

النَّصر القريب وعْدُ الله ورسوله:

حقٌّ علينا في الفَتْرة القادمة أن نبثَّ الوعي الإسلاميّ الدِّيني عمومًا، والوعي السِّياسي الشَّرعي على وجْهٍ أخص، كما ينبغي أن نُدْرِك أنَّ الإسلام قادمٌ، ولا ريب في هذا، قادمٌ لأنَّه وعْدُ الله ورسولِه، وقادمٌ لأنَّه هو المنهج الإصلاحي الربانيُّ الذي فيه كلُّ مقوِّمات السعادة والسِّيادة البشريَّة لِهذه الأُمَّة، وقادمٌ لأنَّه الحقُّ الذي لا حقَّ بعده، وقادم لأنه منهجٌ منتصر، منهجٌ له الحُكم والسيادة مهما طال الزَّمان، واشتدَّت المِحَن، ورُصِدت العقَبات، منتصر لأنَّه من عند الله، ومنتصر لأنَّه منهج الله، ومنتصر لأنَّه كلمة الله الَّتي هي العُلْيا أبدًا ودائمًا، ومنتصر لأنَّه منهج معصوم لا يعتريه الخطأ والزَّلل، ومنتصر لأنه يَمْلك كلَّ مقوِّمات البقاء، وكلَّ مقوِّمات الظَّفر والاستمرار والنَّصر.

نعم، إنَّ المستقبل القريب لِهَذا المنهج الربَّاني، وعلى منهاج النبُوَّة الأولى، وهذا وعْدُ الله تعالى ولا ريب، كما قال تعالى: ﴿ **كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [المجادلة: ٢١]، وكما قال أيضًا: ﴿ **وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [النور: ٥٥].

وهذه الآيات القرآنيَّة شواهِدُ على صِدْق وعْد الله تعالى لعباده وأوليائه، ونصوصُ السُّنة النبويَّة الصحيحة عند مُسلم و"مسند أحمد" وغيرِهما شواهِدُ على ذلك.

فعن ثوبانَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إنَّ الله زوى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتِي سيَبْلُغ مُلْكُها ما زَوى لي منها، وأُعطيت الكَنْزين الأحمر والأبيض، وإنِّي سأَلْت ربِّي لأُمَّتِي ألا يُهْلِكها بِسَنةٍ عامَّة، وألا يُسَلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفُسِهم، فيستبيحَ بَيْضتَهم، وإنَّ ربي قال: يا محمَّد، إنِّي إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ، وإنِّي أعطيتك لأمَّتِك ألا أُهْلِكهم بسنةٍ عامَّة، وألا أُسَلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتَهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارها)) أو قال: من بَيْن أقطارها، ((حتَّى يكون بعضُهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضُهم بعضًا)).

*** الهوامش:**

---

[١] "البداية والنهاية"، (٧ / ٤٠).

* * *

المنهج السلفي بين العداء والمضاء

هذه وقفات مهمة - أحسبها كذلك - في التَّعقيب على الأحداث المتتابعة بعد الثَّورة، وما يتعلَّق بها من تطوُّرات على الاتِّجاهات الإسلامية والدعوية، وذلك في نقاط متتالية:

أولاً - صحوة أشرقَتْ بنور الإسلام:

إنَّ من نعم الله تعالى في هذا الزمان أن تفيء جموعٌ كثيرة من الأمة الإسلامية وشبابِها وأبنائها إلى العودة الجادَّة الصادقة إلى منهج الكتاب والسُّنة، وفق منهج سلَف الأُمَّة من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدِّين؛ ذلك أنَّ هذا المنهج السلَفي يمثِّل الإسلام في صفائه وجوهره، كما يمثِّل الإسلام في عقيدته وعباداته، وفي أخلاقه ومعاملاتِه؛ لأنَّ هذا المنهج دعوةُ الإسلام، وحقيقته الربَّانية الكبرى.

وهذه الدعوة - اليوم - أذِن الله لها أن تعود من جديدٍ بقوَّة وإيمان؛ لتتبوَّأ مكانَها الأوَّل، وقيادتها للعالَم الذي تنكَّب الطريق الحقَّ، وذهب لاهثًا وبقوة وراء الشهوات والنَّزوات، والكفر والإلحاد، إلا بقيَّة من أمة الإجابة والهدى أمَّة الإسلام، التي لم تُراوح مكانَها بعد لتتسلَّم مفاتيح القيادة لهذه البشرية اللاهثة خلف السراب، القابعة خلف الحجُب والدنايا؛ لتدلَّها على طريق هدايتها وسعادتها، وسلامتها وأمنِها، كما قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولكنْ ثَمَّة طريق طويل وشاقٌّ بين التكوين لهذه القيادة الرائدة للبشرية، وبين التمكين الموعود لها من الله تعالى في الأرض، نعَم بدأت ملامحُه تلوح في الآفاق،

ودبَّت الصحوة الإسلاميَّة في كلِّ مكان، وبذرَتْ بذورها، لكنَّها لا تزال في حاجةٍ كبيرة إلى العناية والمتابعة، في حاجةٍ إلى التهذيب والتربية، وفي حاجة كذلك إلى التصحيح والتقويم، وفي حاجةٍ إلى البصيرة والتبصير.

وكلُّ ذلك لا يكون إلا بجهد الأمَّة ودُعاتِها الصَّادقين، وجنود الدَّعوة القائمين بها والمخلِصين، وحماية هذه الدَّعوة وشبابها من أعدائها المنافقين والمتربِّصين، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة: ٢٥].

* * *

ثانيًا - الحرب على الاتِّجاهات الإسلامية:

المتأمِّل لواقع الأمة اليوم يرى كمًّا كبيرًا من الأعداء المتربِّصين بدعوة الإسلام، والتي أَذِن الله تعالى لها بالعودة من جديدٍ، فأهل الكُفر - خاصَّة من اليهود والنصارى - أعداءٌ لَها، والعلمانيُّون واللِّيبراليون والمنافقون كذلك، وكل هؤلاء المتربِّصين لا يريدون للإسلام دولة، ولا عودةً إلى حاكميَّة الحياة كلِّها للأمة الإسلامية، بل ويكيدون المكايد لها في الليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وما أن بزغَتْ بعض رياح الحرِّية ونسائم الحقِّ، بعد تغيير قدَّرَه الله تعالى في هذه الثورات المتأخِّرة هنا وهنالك، وأذن الله تعالى للحقِّ أن يأخذ مجراه، ويخطَّ سبيله بين جموعٍ من النَّاس، إذْ بنا نرى الحرب الخبيثة سرًّا وجهارًا من المنافقين وغيرهم، وقد

سنُّوا سيوف الحرب، وأوقدوا نارها، ودقُّوا طبولَها، في وسائل الإعلام؛ المرئيَّة، والمقروءة، والمسموعة على حدٍّ سواء.

ومن ثَمَّ أخذوا يلتقطون بعض العبارات والتصريحات والمواقف، من بعض شيوخ الدَّعوة والحقِّ؛ ليلعبوا بها على وتر العواطف والكلام، والنَّيل من منهج الحقِّ وأهله ودُعاته، خاصَّة الاتِّجاه السَّلفي.

ذلك بعد أن بدا لنا حراكٌ في وقت الحُرِّية - زعموا - من الاتِّجاهات الإسلامية عمومًا، والسلفيَّة خاصة، والتحرُّك نحو العمل والمشاركة السياسية، والخوض في غمارها، وهذا حقٌّ مشروعٌ ولا ريب، وأدلَّتُه بيِّنة لكلِّ أحد.

وإن كان دعاةُ السَّلفية قد أحجموا عن المشاركة طيلة العقود الماضية؛ لوجود ألوانٍ من العبث في اللعبة السياسيَّة، وتزوير نتائجها في جلِّ مراحلها لصالح الأحزاب الحاكمة والسُّلطان، والضرب بيدٍ من حديد على الدَّور السياسي للأحزاب والاتِّجاهات الإسلامية، إلا أننا اليوم نعيش في واقع جديدٍ قدَّره الله تعالى وهيَّأه، ونحن نرجو من ورائه الخير والتمكين بعد حينٍ بإذن الله تعالى؛ ﴿ **وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢١].

* * *

ثالثًا - صور من العداء والبغضاء:

لعل المتتبع للأحداث الأخيرة بعد الثورة يتجلَّى له أمران مهمان، نشير إليهما فيما يلي:

الأمر الأول: السَّعي الحثيث لطمس الهوية الإسلاميَّة ومعالمِها:

ذلك أن هؤلاء المنافقين من العلمانيِّين والليبراليين ومَن شابه طريقَهم وأهدافهم، لا يريدون - مهما كلَّفهم الأمر، وبذلوا من أموال - أن تظلَّ مصر ولا حتَّى الدول الأخرى، محافِظةً على هويَّتِها الإسلامية والعربيَّة، وتلك سُنَّة جارية.

لأنَّ في ذلك نفعًا وتحقيقًا لغاياتهم ومآربِهم الخبيثة، ولدوام تواصُلِهم مع الغرب الكافر، والشرق الملحِد دون قيدٍ أو شرط.

ومن هنا شنُّوا عدة حملات خبيثة ماكرة في جلِّ وسائل الإعلام، وسخَّروا أبواقهم الماكرة للعبث بالدستور، خاصَّة المادة الثانية منه، والتي تنصُّ على أن الإسلام هو دين الدَّولةِ الرسميُّ، وأن أحكامه وشريعته هي المصدر الرئيسيُّ للتشريع، ولغة البلد اللُّغة العربية.

كما شنُّوا عدة حملات ضارية لفرض قولةِ "لا" للتعديلات المؤقَّتة، وإن كان لا يضيرنا ذلك، ولا نُرغم أحدًا عليه، إلاَّ أنه قد بدَت البغضاء الصُّراح من قلوبِهم وأفواههم وإعلامهم، بتحريض الجماهير لقول: "لا"؛ ليتسنَّى لهم العبث بتغيير الدستور الجديد، والعبث بالهويَّة المسلمة والعربيَّة.

وقد صرَّح بعضهم بالاستعداد التامِّ لتغيير المادة الثانية، أو الإضافة إليها بما يريدون، وفي ذلك عبث أيَّما عبث، ونفاقٌ أيَّما نفاق.

قال الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر السابق - رحمه الله تعالى -: "إنَّ البحث عن هويَّة أخرى للأمة الإسلاميَّة خيانةٌ كبْرى، وجناية عظمى".

إن هؤلاء حقًّا يسيرون على درب التِّيه والضلال، والخيانة للدِّين والأوطان، كما أنَّهم يخطون حذو القُذَّة بالقذَّة خلف من سبقَهم ممن تآمروا على الهويَّة الإسلامية من قبل.

من أمثلة ذلك:

١ - **مصطفى كمال أتاتورك:** الذي مسخ هويَّة تركيا الإسلامية بالقهر، والذي قال: "كثيرًا ما وددتُ لو كان في وُسعي أن أقذف بجميع الأديان في البحر"، وهو الذي ألغى الخلافة، وعطَّل الشريعة، وألغى نصَّ الدستور على أن الإسلام هو الدين الرسميُّ للبلاد، وألغى المَحاكم الشرعية، والمدارس الدِّينية، والأوقاف، وألغى الأذان العربيَّ وحوَّله إلى التُّركية، وألغى الحروف العربيَّة واستبدل بِها اللاتينيَّة، وكان يقول: "انتصرت على العدوِّ وفتحتُ البلاد، هل أستطيع أن أنتصر على الشعب؟".

٢ - **أغا أوغلي أحمد:** الذي كان أحدَ غلاة الكماليِّين الأتراك القائل: "إننا عزَمْنا على أن نأخذ كلَّ ما عند الغربيين، حتَّى الالتهابات التي في رئيهم، والنجاسات التي في أمعائهم".

٣ - **أحمد لطفي السيد:** خَصْم العروبة والوَحدةِ الإسلاميَّة، وصاحب شعار "مصر للمصريين"، والنَّعرة الفرعونية، ويكفي في بيان عدائه للهويَّة الإسلامية أنه كان يَصِف نصَّ الدستور على أنَّ الدِّين الرسمي للدولة هو الإسلام بأنه: "النَّصُّ المشؤوم".

٤ - **طه حسين:** عميد التَّغريب، وداعية التَّبَعية المُطْلَقة للغرب حتَّى في مفاسده وشرورِه، والقائل: "لو وقف الدِّين الإسلاميُّ حاجزًا بيننا وبين فرعونيَّتِنا لنبذناه".

وقد طالب "عميدُ التغريب" بأن نسير سيرة الأوربِّيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرِها وشرِّها، حلوها ومُرِّها، وما يحبُّ منها وما يكره، وما يحمد وما يعاب.

٥ - **محمود عزمي:** الذي أعلن أنَّ سبب مقْتِه للحجاب مقتًا شديدًا "هو اعتباره من أصلٍ غير مصري، ودخوله إلى العادات المصريَّة عن طريق تحكُّم بعض الفاتحين الأجانب[١]، فكان حنقي على أولئك الأجانب الفاتحين الإسلاميِّين يزيد"[٢].

٦ - **الشيخ علي عبد الرازق:** الذي مَثُل أمام هيئة من كبار علماء الأزهر عام ١٩٢٥، حيث أصدرت اللِّجنة بعد مناقشة طويلة معه حُكمًا بإدانته، وإخراجه من زُمرة العلماء، ومَحَوْا اسمه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطردوه من كلِّ وظيفة دينيَّة أو غير دينية؛ وذلك لكونه جعَل الشريعة الإسلاميَّة شريعةً روحيَّة مَحْضة، لا علاقة لها بالحُكم والتنفيذ في أمور الدُّنيا، وزَعْمِه أنَّ الدين لا يمنع أنَّ جهاد النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان في سبيل المُلك لا في سبيل الدِّين ولا الدعوة، وأن نظام الحكم في عهد النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان موضعَ غموض أو إبهامٍ، واتِّهامه للصحابة في أمورٍ كثيرة منها أمور القضاء والحكم والإمامة.

وقد كشفت صحيفة "ليفربول بوست" البريطانية عن هذه القبائح والمنكَرات التي دبَّرها الاستعمارُ البريطاني، واتخذ علي عبدالرازق وسيلة لتنفيذها، تُعاوِنه طَغامةٌ من حزب الأحرار الدستوريِّين، نشرت الصحيفة المذكورة في ١٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ مقالاً جاء فيه "... ولما عجز الأزهر عن حمل الحكومة على مُحاكمة الشيخ عبدالرازق، أصدر قرارًا بفصله من زُمرة العلماء"[٣].

والقائمة طويلة ستجد فيها: سلامة موسى، ولويس عوض، وجرجس زيدان، وفرج فوده، وحسين أحمد أمين، وزكي نجيب محمود، وغيرهم، لا كثَّر الله من سوادِهم.

ولكن مع كلِّ ذلك فإنَّ الله يسخِّر لدينه في كل وقت ومحنةٍ مَن يدافع عن هويته وعقائده ومبادئه، والتاريخ حافلٌ بِهؤلاء العظماء الأمْجاد، والعلماء والأدباء، من أمثال: شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه العلاَّمة ابن القيم، والأديب مصطفى صادق الرافعي، والدكتور محمد حسين الذهبي، والعلاَّمة محمود شاكر، وأبي الحسن النَّدوي، وغيرِهم من العلماء الربانيين والمفكرين[٤].

الأمر الثانِي: السعي لتشويه الاتجاهات الإسلامية، والسلفية على رأسها:

لأن هؤلاء يعلمون يقينًا أنه لو ترك الأمر للشعوب حقًّا، كما تزعم الديمقراطية، وفتحت أبواب الحرِّية السياسيَّة أمامها، يعلمون أن الاتِّجاهات الإسلامية، خاصَّة "الإخوان المسلمين" و"السلفيِّين"، سيؤول الأمر والحكم إليهم يومًا ما، ويمتلكون زمام الحكم والسِّيادة، وعندها لا مكان لأيِّ منافق كذَّاب، ولا علمانيٍّ حقود، ولا ليبرالي مُخادع، فلن يكون إلا الحقُّ والعدل، وإلا الأمن والأمان، والسِّلم والسلام.

ومن هنا ندرك حقًّا، تلك الممارسات السيِّئة لهذه الاتِّجاهات المعادية، لا أقول: للأحزاب والاتِّجاهات الإسلامية، بل معادية لدين الإسلام وشرعتِه وأحكامه، وندرك أنَّهم لا يريدون خيرًا للبلاد والعباد والأوطان.

ومن ثَمَّ عملوا على إشاعة حملات ضارية، ومعارك إعلاميَّة وسياسية رهيبة، حيث استخدَموا أبواقهم المسمومة للتخويف مما سمَّوه بـ: "الدولة الدينية"، و"الجماعات والأحزاب الإسلاميَّة"، ونشر الرُّعب والخوف في قلوب الناس من أن تعود البلاد مسلمةً عادلة، وأن الدولة الدِّينية ما هي إلاَّ نوع من التخلُّف والجمود والرجعيَّة - زعموا - وأنَّها ستقطع أيدي الناس وأرجلهم من خلاف، وتخرص أفواههم عن الكلام، وحياتَهم عن الحراك، واقتصادهم عن الإنتاج والعمل، وستجعل النهار ليلاً، والليل سوادًا قاتِمًا.

وكأنَّ الدولة هذه ليست هي حضارةَ الإسلام العريقة، وقِيمَه الفاضلة، وأخلاقه السَّامية، وتاريخه المشرق عبيرًا ونصرًا وعلمًا، وكأن دولة محمَّد بن عبدالله رسولِ البشرية - صلَّى الله عليه وسلَّم - سُلطةٌ دكتاتوريَّة، واتجاهٌ اشتراكيّ أو علماني، ومصالح شخصيَّة، ودولة خلفائه الراشدين من بعده أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ -

رضي الله عنهم - ما هي إلاَّ سُلطان جبروتي، وحكم طاغوتي، وهم - أيْ: دُعاة الباطل - أعلم بالحقِّ والعدل منهم، وأعلم بِمَصالح الوطن والسِّياسة منهم، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم.

ولقد رأينا تلك الهالة الكبيرة لتشويه الدَّعوة السلفيَّة، وادِّعاءَهم الكاذب أنَّها كانت مغمورة لا صوت لها ولا أتباع، طيلة السَّنوات الماضية، وما أن وقعت الثَّورة، وتغيَّر الواقع حتَّى خرجَت من جُحرها، ورفعت صوتَها، وليت شِعري حقًّا أيُّ افتراء بعد هذا؟ وأي نفاقٍ فوق هذا؟! وكأنَّهم نسوا أنَّها تعمل منذ عقود طويلة معهم، وأنَّ لها من القوة والانتشار والحقِّ، ما يفوق قوَّتَهم وأبواقهم.

كما أنَّهم نسوا أو تناسَوا - تَجاهُلاً منهم، واستغفالاً للجماهير العريضة - أنَّ تلك الحكومات والأنظمة العميلة، كمَّمت الأفواه، وأخرصَتْ كثيرًا من الشُّيوخ الدعاة، وحجرَت على المساجد والشَّباب، وفتحت أبواب السُّجون والمعتقلات لكلِّ داعية ومتديِّن، وسلَّطت عليهم الصَّعق بالكهرباء، وشُرب مياه المَجاري، والنَّوم على بلاط الأرض في البَرد القارس، ولا ننسى السلاسل والقيود في الأيدي والأرجُل، كما لا ننسى الهجوم بالليل بدون إذنٍ قضائي أو شرعي على البيوت، وكسْر الأبواب المغلقة، واقتحام حرمات المسلمين والمسلمات، التي حرَّمها الله ورسوله، وإرهابَ الآمنين والمساكين.

وكذلك تصيُّد أصحاب اللِّحى والاستقامةِ في معابر التَّفتيش والأمن في الطُّرقات، في مناسبة وغير مناسبة، والحَجْر عليهم، بل ونَقْلهم من أعمالهم ووظائفهم الرسمية، والتي هي حقُّهم المشروع إلى أعمالٍ إدارية وإضافيَّة، حتى لا يُحْدِثوا أثرًا ولا تغييرًا بحقٍّ في مكانِهم ووظائفهم.

وأما الإعلام المرئيُّ والمقروء والمسموع فحدِّث ولا حرج، عن برامج كثيرة، تُهْدر لها الأموال هدرًا، في سبيل تشويه الاتِّجاهات الإسلامية والدعوية، وصبِّ

الغضب عليها وعلى شيوخها وشبابِها في الليل والنهار، ورَمْيِهم بكلِّ قبيح وسيِّئ من الأوصاف؛ من التخلُّف، والرَّجعية، والتطرُّف، وما إلى ذلك مما شبعنا منه كذبًا وافتراءً.

ثم بعد كلِّ هذا يقولون لنا الآن: أين كنتم؟ وأين صوتُكم؟!

والحقُّ أننا نعكس السُّؤال لهم أنفسهم، ونقول لهم: نحن كنَّا نعمل، ونُعتقَل، ونُوقَف ونُؤذَى، طيلة سنواتٍ طويلة، فأين كنتم أنتم من هموم الأمَّة المسلمة، وقضاياها ومشكلاتها؟ وأين كنتم يوم أن لعب اللاَّعبون، وأفسد المُفسِدون، ونَهبوا الثَّروات، واقتحموا الحُرمات، وأحدثوا ألوانًا لا حصر لها من البلايا والفساد والشُّرور؟!

الحقُّ أنَّهم كانوا موجودين بالفعل، لكنهم كانوا أعوانًا لهم، وسلطانًا معهم، وبوقًا لكذبِهم، وصوتًا مرعبًا لكل معارض وصاحب حق.

* * *

رابعًا - المنهج السلفي منهج الإسلام:

وهنا ألفت القلوب والأنظار إلى أنَّه لا ينبغي اليوم أن نلتفت إلى صراخ الصَّارخين، وأقلام الموتورين والمرجفين من المنافقين والعلمانيِّين وأذنابِهم، الذين يشوِّهون صورة الدَّعوة وشيوخَها ومنهجها على حدٍّ سواء.

كما ينبغي أيضًا أن نعلم أنَّ المنهج السلفيَّ ليس جماعة ولا حزبًا، إنما هو منهجٌ أصيل في الإسلام، فهو يُمثِّل صورة الإسلام الصحيحة، البعيدة كلَّ البعد عن الانحرافات الفكريَّة والعقَدِيَّة والمذهبية على طول التاريخ الإسلاميِّ، كما أنه لا يعني انتماءاتٍ ولا عصبيَّات، ورايات جاهلية، إنما هو الإسلام في صفائه وشموله.

إن الدعوة السَّلفية تَعْني: "الاتِّجاه المقدِّمَ للنُّصوص الشرعية على البدائل الأخرى؛ منهجًا وموضوعًا، الملتزِمَ بِهَدْي الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهَدْي أصحابه؛ عِلْمًا وعَمَلاً، المُطَّرِح للمناهج المخالفة لهذا الهَدْي في العقيدة والعبادة والتشريع".

أو هي: اصطلاحٌ جامع، يُطْلَق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلَقِّي الإسلام وفهمه والعمل به، وللدلالة على التَّمسُّك بهذا المنهج، والعَضِّ عليه بالنواجذ؛ إيمانًا وتصديقًا واتِّباعًا.

إن السَّلفيةَ ليستْ مذهبًا مُبْتَدعًا، ولا طريقًا مُخالِفًا، كلاَّ، إنَّما السَّلفية تعني: الدَّعوة إلى الإسلام دين الله الحق، المُنَزَّل من عند الله تعالى، الذي أَرسل به جميع أنبيائه ورسُلِه، هُداةً للعالَمِين ورَحْمة لهم، وعلى رأسهم النبي محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - الذي اصطفاه الله لهذه الدَّعوة والرِّسالة الخاتمة لجميع الدعوات والرِّسالات: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]؛ الآيَةَ".

كما أنَّ الدعوة إلى منهج السَّلَف تعني: إقامة شريعة هذا الدِّين في الأرض، وإقامة عقائده وشرائعه، ومبادئه وأخلاقه، كما أَنَّها تَعْني صياغة الحياة البشريَّة كُلِّها بصبغة الربَّانية والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ **أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣] الآية".

إنَّها ليست دعْوَةً إلى قَمْع البشرية واستعبادها، والسيطرة على مُقَدَّرات الشعوب وأقواتها، ونَهْب أموالها وممتلكاتها، كما فعلَتْه - في القرون المتأخِّرة - الشيوعيَّةُ الخبيثة المادِّية، بأفكارها ومعتقداتها الإلحادية الكافرة، أو كما تفعله أمريكا وأوربا بِمُبارَكةٍ

وتخطيط يهوديٍّ صليبِي ماكر، أو حتىَّ ما يفعله أربابُ الأموال والثَّروات من الهنود واليابانيين والصينيِّين.

كما أنَّها ليست دعوةً للخروج على حُكْم الله وشريعته، بِدَعاوى التقدُّم والعلم، والانفتاحِ العلمي أمام البشريَّة؛ مما يَجْعلها ليست في حاجة إلى شريعة تَحْكمها، ولا دين يُنَظِّم شؤون حياتها، كما أنَّها ليست دعوة مُستمدَّة من العقل والفكر البشري القاصر عن إدراك حقائق الأشياء، ولا الوصول إلى جميع مدلولاتها؛ لِيَصوغ لها قوانين بشرية في مجالات الحياة شتَّى، ثم يُحَكِّمها فيها، ويقول لها: هذا هو القانون العَصْريُّ الذي يتناسب مع طبيعة هذا الزَّمان.

فالسلفيَّة إذًا تعني العودة إلى منهج الإسلام وشريعته، والعودة إلى الكتاب والسُّنة بما كان عليه سلَفُ هذه الأُمَّة وصدْرُها الأول من أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتابعين لهم بإحسان.

خصائص المنهج السلفي:

وهذا المنهج السلفيُّ له خصائص مهمَّة يتميَّز بها عن غيره، وقد حاولتُ استقصاءها قدر الإمكان، والوقوفَ معها بشيءٍ من الإشارة والبيان، فمن ذلك:

١ - المنهج السلفي منهج حياة شامل:

هذا المنهج ليس منهجًا قاصرًا عن مواكبة أحداث الحياة والعصر، وليس منهجًا ناقصًا يعتريه الخلل والخطأ، إنَّما هو منهجُ حياةٍ شاملٌ وكامل، صلح به المسلمون الأوائل، ومُكِّنوا به، وشموليته تعني دخولَ جميع مجالات الحياة البشريَّة في منهجه؛ من حياة الإنسان الخاصة، وإلى حياة الأُمم والعالَم.

فمن شموليَّتِه دخولُ العقيدة والعبادة والأخلاق في منهجه، ودخول شؤون المعاملات والتِّجارات والاقتصاد والسياسة، ومجالات العلم والبحث والفكر والتربية، وشؤون الحكم والسُّلطان، والحرب والسِّلم وأحكام الأسرة المسلمة، وغير ذلك مما يتعلَّق بجميع شؤون الإنسان في الحياة؛ كما قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومن صلاحيته أنَّه لا ينتهي عند زمان أو مكان، ولكنه صالح لكلِّ أهل زمان وعصر، ولكل أهل مكان ومصر، باقٍ إلى أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

يخطئُ قوم حينما يعتَقدون أنَّ هذا المنهج ثوبٌ أبيض قصير، وسواك في الفَم، ولحية تُعفَى، وعبارات وألفاظٌ لا يتخطَّاها المسلم في كلامه.

كلاَّ، إن كل هذا مطلوب شرعًا، سواء أكان من الفرائض والواجبات، أم كان من السُّنن والمستحبَّات، ولكنه لا يَعني أن المنهج قاصرٌ على هذا فحَسْب، إن هذا الدِّين كبيرٌ وعظيم، أكبر من أن يحتويَه عمَلُ عامل، أو عِلمُ عالِمٍ، فلتكن نظرتنا صحيحة مستقيمة، إنَّما هو منهج حياة كامل، إن منهجنا عقيدة وعبادة، وأخلاق وتربية، وأقوالٌ وأفعال، ودنيا وأخرى، ومعاملات وآداب، وسياسة واقتصاد.

٢ - المنهج السلفي منهج قائم على التأصيل الشرعي:

نعم، منهجٌ قام على التأصيل الشرعي، وتقديمِ أدلته الصحيحة الواضحة على كلِّ دليل، منهجٌ ليس فيه تأصيل مُخالف للكتاب والسُّنة وما أجمعت عليه الأمة، وليس فيه تأصيل يوافق مناهجَ أهل البدع والأهواء، إلا أنَّهم هم يوافقونَه أحيانًا؛

لأنَّه الحق، ويخالفونه مرَّات ومرات، وليس فيه اتِّباعٌ على غير بصيرة وعلم، ولكنه منهجٌ قام على التدليل الصَّحيح، والتأصيل القويم، والفهم السَّديد، والحُجَّة الواضحة.

فمِن تأصيلات المنهج لزومُ اتِّباع الكتاب والسُّنة الصحيحة الثابتة، والحذر من اتِّباع الأهواء والبِدَع: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء: ٥٩]، وكما جاء في الحديث: ((فإنَّه من يعِش منكم فسيَرى اختلافًا كثيرًا))، ثم قال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -:((فعليكم بسُنَّتِي)).

ومن تأصيلات المنهج الاهتمامُ بالعقيدة والتوحيد في البناء الدَّعَوي والإيماني، وترسيخ ذلك في النُّفُوس، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

ومِن تأصيلات المنهج تقديمُ النَّقل على العقل، مع الاعتِقاد بعدم تعارُض العقل مع النَّقل، ولا النقل مع العقل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهَّ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ١].

وقال ابن عبَّاس - رضي الله عنه -: "توشك أن تَنْزِل عليكم حجارةٌ من السماء؛ أقول: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - وتقولون: قال أبو بكر، وقال عمر**!**".

ومن تأصيلات المنهجِ: الرَّفضُ والبُعد عن التأويل الكلامي المرجوح؛ لأنَّه بِفَتح هذا الباب تقع المفاسد والتأويلات الكلاميَّة التي مصيرها إلى نَقْض عُرى الإسلام، وتَمييعِ شرائعه وعقيدته، فما خرَج الخوارج إلاَّ من هذا الباب، وما وقع من فِتَن

وأصحابِ أهواءٍ وتأويل فاسد، فقتَلوا الصحابة، وسفَكوا دماءَهم، وكان ما كان بينهم، وأمرهم جميعًا إلى الله.

ومن تأصيلات المنهج لزومُ الجماعة مع حسن السَّمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية أو إظهارِ كُفر عندنا فيه من الله برهانٌ، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء: ٥٩].

ومن تأصيلات المنهج صحَّةُ العقيدة، وصحة العبادة، وصحة السُّلوك والأخلاق؛ إذْ مِن دونها ينحرف الإنسان، ويُخالف الصِّراط المستقيم؛ إذْ إنَّ انحراف العقيدة يوقع صاحبَه في أبوابٍ من الزَّيغ والضلال، ويوقع في البدع والأهواء، وكذلك العبادة والسُّلوك.

فلا بدَّ للسالك في هذا المنهج أن تصحَّ له الطُّرق الثلاث: العقيدة والإيمان، والعبادة، والسُّلوك.

٣ - المنهج السلفي تجديدي لا تقليدي:

والمتأمِّل في طبيعة هذا المنهج يراه على خلافِ ما يرميه به أعداؤُه وخصومه، بأنَّه منهجٌ تقليدي ليس فيه تجديد، وإنَّما هو دعوة للعودة للقديم والتقليد لهم في شتَّى مجالات الحياة.

ولا ريب أن هذا وهمٌ حقيقي، وادِّعاء باطل، ليس له في حقيقة الأمر من نصيب؛ لأنَّه مبنيٌّ على مُغالطات بعيدة كلَّ البعد عن القراءة التاريخية لمنهج السَّلف، كما أنه بعيدٌ أيضًا عن طبيعة ومقوِّمات المنهج، كما أنه مُخالف لواقع المنهج نفسه.

لأنَّ مدرسة السلَف كلها مدرسة تجديديَّة بطبيعتها، تأنف التقليدَ الأعمى، وتردُّ القول الخطأ على قائله، بل وتعمد إلى فتح باب الاجتهاد بضوابطه الشرعيَّة الصحيحة، بخلاف القائلين بإغلاقه، أو المتفلِّتين من ضوابطه، إلى جانب أنها عُمِّرَت كثيرًا بالمُجدِّدين على طول التاريخ من أمثال الخليفة عُمر بن عبدالعزيز، والإمام الشافعيِّ، والإمام أحمد، والإمام خاتمة الحُفَّاظ وشيخ الإسلام ابن تيميَّة - رحمهم الله جميعًا.

كما أنَّنا نتنبه إلى أمرٍ خطير، وهو الفارق بين التجديد الشرعيِّ الوارد في حديث النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - على رأس المائة عام، وبين التجديد الذي يدعو له اليوم دعاةُ الباطل، والذي في مجمله يعني التخلِّي الصريح عن مبادئ الإسلام وتشريعاته؛ لأنَّها في نظرهم انتهَت صلاحيتها منذ القرون الأولى السَّالفة.

فالتجديد عندهم أن نَختلق تشريعاتٍ بشريَّةً قاصرة من جديد، بعيدًا عن نور السماء ووحي الله المعصوم؛ لتتناسب - في زعمهم - مع العصر الحديث.

وقد بدا لنا من خلال تطوُّرات الأحداث في الحِقبة الأخيرة، كم عَمِل حَمَلةُ المنهج على تصفيته وتجديده من كلِّ ما علق به على طول التاريخ من الأهواء والبِدَع والمخالفات، التي غيَّرت كثيرًا في ملامح المنهج الإسلامي الصافي، سواءٌ من أهله وأتباعه، أو من مُخالفيه وأعدائه.

وهذا ما نحاول إبرازه والوقوف عليه من خلال حديثنًا عن هذا المنهج السلفي والحاجة إليه، وأنه منهج يحمل كلَّ مقوِّمات التمكين العقَدِيَّة، والتعبُّدية، والأخلاقية، والتشريعية، والاقتصادية، والسِّياسية، وغيرها من المقومات اللازمة لبناء أيِّ حضارة وتقدُّم.

* * *

المنهج السلفي ودوره الإصلاحي:

والمتأمِّل في تاريخ الدعوة الإسلامية يرى أن منهج الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين قام في حقيقة الأمر على تعظيم نصوص الوحيين؛ القرآن، والسُّنة، وكمال التسليم لهما.

أما المخالفون لمنهجهم وطريقهم من أهل البدع والأهواء، فقد زلَّت أقدامهم، وضلت عقولهم في ذلك، فحرَّفوا، وغيَّروا، وبدلوا، وأوَّلوا، ووقعوا في الفتنة والزيغ والضَّلال، فضلُّوا وأضَلُّوا عن سواء السبيل.

وإن الحقِّ والهدى والنَّجاة في متابعة ما كان عليه أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، ولهذا جعلهم النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - الميزان الحقَّ حين وقوع الفِتَن والافتراق في أمته، كما جاء في الحديث المحفوظ المشهور حديث الافتراق الذي وقعت فيه الأمم،والذي يقول فيه النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -:((افترقَت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النَّصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمَّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلاَّ واحدة)) قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: ((من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)).

وفي بعض الروايات: ((هي الجماعة))؛ رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

ومن هنا وقع كثيرٌ من الاختلاف والافتراق في كثيرٍ من الأحكام؛ بسبب سوء الفَهْم للإسلام، وتفرَّقَت هذه الفِرَق هي الأخرى إلى فرق شتَّى، فكان من اللازم التصدِّي لهذه الفرق وبدعها التي أحدثَتْها في الإسلام.

ولقد وقف المنهج السلفيُّ على طول التاريخ الإسلامي كلِّه أمام كلِّ هذه الفرق والمذاهب التي فارقت وخالفَت الكتاب والسُّنة وما أجمع عليه الصحابة والتابعون، بدءًا من الخوارج والقدريَّة والشيعة والمرجئة ومن سار على منوالهم، وقارع بعضُ الصحابة هؤلاء من أمثال عبد الله بن عبَّاس، وابن مسعود - رضي الله عنهم جميعًا.

كما تصدَّى جاهدًا أمام العقل المعتزليِّ والفلسفي، وأصحاب التأويل والتعطيل، وبين فساد ما ذهبوا إليه وخالفوا فيه من الحقِّ والسنن.

وفي العَصْرِ الحديث اليوم وقف المنهجُ أيضًا بقوَّة وثِقَة ثابتة أمام التيَّارات والأفكار والمذاهب المُحاربة للإسلام؛ من الشُّيوعية الماركسية، والعلمانيَّة، والاشتراكية، وغيرها، وما تولَّد منها.

وقف ليبيِّن للناس معالم الطريق والتمكين، ومعالم الشريعة والدِّين، ومعالم الحضارة الإسلامية المثالية الأرقى، ولهذا لم يتوقَّف هؤلاء عن مُعاداته والتشهير به، والنَّيل منه، والكيد له ولأتباعه، ورميهم بالتخلُّف والجمود، والرجعيَّة والأصولية.

أما اليوم فصار له دور كبيرٌ جديد، يُضاف إلى دوره الأول من التصدِّي للمناهج المُخالفة، وذلك من خلال عدَّة أمور، نوجزها فيما يلي:

الأول: التصدِّي للمناهج والمذاهب والفرق التي خالفَتْ منهج الكتاب والسُّنة وفَهْم السَّلف الصالح، مع بيان الحقِّ في ذلك بأدلته الصحيحة، من فِرَق البعثيَّة، والاشتراكية، والقوميَّة، والقاديانية، والبهائيَّة، وماسواها من الفرق والمذاهب، وما بقي على شعاره القديم كالشِّيعة، والرافضة، والنُّصيرية، والإسماعيلية، والخوارج ونحو ذلك.

الثانِي: العمل على إحياء الإسلام وفق منهج السَّلَف الصالِح، وتصفية الإسلام وشريعته مما علق به من المخالفات والأهواء والبِدَع، إضافةً إلى تشويه صورة الإسلام

الصَّحيحة، وهذا ولا ريب دورٌ كبير وجليل، وقف منه الاتِّجاه السلفيُّ موقفًا حازمًا، ولكن يحتاج إلى مزيدِ بيان ومنهجيَّة، حتى تستبينَ معالِمَ الطريق.

الثالث: العمل على تأهيل الأمَّة الإسلامية لمرحلة الخلافة الرَّاشدة، وإقامة دولة الإسلام الَّتي توحِّد الأمة على تحكيم شريعة الكتاب والسُّنة الصافية، وفق منهاج النُّبوة، كما جاء في الحديث المحفوظ: **((ثُمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النُّبوة)).**

وهذه الخلافة الموعودة هي التَّمكين الربَّاني من الله تعالى لدينه وأوليائه في الأرض، وقيامهم بِهذه الدعوة الإسلاميَّة الصافية من جديد، وهذا لا يتأتَّى إلا بِبَذل النُّفوس والأموال والأوقات دونَه، ولا يتأتَّى إلا بالتضحية الصادقة لهذا المنهج.

ولا يتأتَّى إلا بعد أن يبدو هذا المنهجُ صحيحًا واضحًا؛ اعتقادًا وقولاً، وفهمًا وعملاً، وفق منهاج الكتاب والسُّنة، وما كان عليه السلف الصالح من صدر الإسلام الأول.

وصدق الله تعالى إذْ يقول: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ *قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٨].

*** الهوامش:**

---

[١] انظر إلى تجرُّده من هويته، ولمزه للصَّحابة الكرام وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين - وإذا كانوا هم من الإسلاميِّين، فهو يا ترى من يكون..؟!

[٢] "هويتنا أو الهاوية".

[٣] "العالم الإسلامي والمكايد الدولية"، فتحي يكن.

[٤] انظر "هويتنا أو الهاوية".

* * *

الفصل الثاني

ردود وتعقيبات على الدكتور على جمعة

وموقفه من الاتجاه السلفي

عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية

لا تكاد الأُمَّة الإسلامية أن تَخْرج من غمَّة وفتنة، حتى تقَع في أُخرى، وهذا ولا رَيْب من سُنَن الابتلاء الجارية؛ لتمحيص الصَّفِّ المسلم، وتمييز أهل الحقِّ الصادقين، من غيرهم من أهل الخِداع والمُنافقين، ومما يُؤْلِم القلب، ويدْمي النَّفْس، ويهزُّ الكيان والوجدان: أن نجد ثُلَّة ممن يُشار إليهم بالبنان، يقفون دائمًا حجَرَ عَثرةٍ في طريق الأُمَّة ونَهْضتها، زاعمين أنهم يَسيرون بها نحو المَعالي، ويُشيِّدون لها صرح العلم والهداية.

ولقد كان الأزهر منارةً للعِلْم والهداية في طريق العلم والإرشاد، يُخْرِج العلماء والفُقَهاء، والمُحَدِّثين والمفتين على طول التاريخ، إلاَّ أنه في هذا الزَّمان تغيَّر مساره، وتحَجَّم دَوْرُه، وضعفَتْ كلمته، ودرَسَتْ سيادته، وما ذلك إلاَّ لِوُجود عوامل الضَّعف والانعزال، والتَّبعية للساسة والحكام.

واليومَ نرى بعضًا من أهله صاروا لا يَرْقُبون في العلم إلاًّ ولا ذِمَّة، ولا يرفعون له راية، ولا شامة، بل صاروا عِبْئًا ثقيلاً على تُراثه وعلمائه، زاعِمين مع ذلك أنَّهم سائرون بالأزهر تُجاه العلم والبناء.

المفتي واللَّمز بالسلفية وأتباعها:

الدكتور علي جمعة مفتي مصر؛ أبعَدَ الطَّريق، تحدث - كما نُشِر موقع مُفكِّرة الإسلام - في حوار مع موقع "أون إسلام"، نشَرَه يوم الاثنين، مُدافعًا عن دور الأزهر الذي يبدو خافتًا أمام تيَّارات أُخْرى على السَّاحة، فقال: "بعض الناس لا تُريد أن تَذْهَب للأزهر (للحصول على الفَتاوى) لِهَوى في نَفْسِها، ولِاتِّجاهات سلَفِيَّة متشدِّدة، ولِمَشارِبَ أخرى لا علاقة لها بالأزهر وكينونته وكفاءته، فالناس أرادت أن

تَذْهب إلى هذا الغير، فالذي حدَث ليس في عِلْم مشايخ الأزهر وفي قُدْرتهم، بل الذي حدث هو ما جرى في الثَّقافة العامة، والثقافة العامَّة تتعرَّض لهجمات علمانيَّة، والسلفيَّة المتشدِّدة أَقْرب ما تكون إلى العلمانية منها إلى الإسلام.. إلى غير ذلك".

واستطرد شارحًا هذا الرَّبْط بين السَّلفية والعلمانيَّة بقوله: "إن د. عبدالوهاب المسيري المُفَكِّر المصريَّ الراحل هو أوَّلُ مَن شرَح هذا، وهو يَصِفُ السَّلفية بأنها أقرب إلى العلمانيَّة، وباختصار شديدٍ يُمْكِن القول: إنَّ العلمانية لا تُنْكِر الدِّين، لكنها تُنحِّي الدِّين عن سير الحياة، والسَّلفية المتشدِّدة تريد أن تَنْعزل بالدِّين عن سير الحياة".

وتابَعَ يقول: "العلمانية تُؤْمِن بالخصوصية؛ ولذلك تَدْعو إلى اختصاص كُلِّ قوم بِلُغَتِهم، بثقافتهم، بِفُلْكُلورهم، بتاريخهم، بمصالحهم، فهي تؤيِّد انفصال الأكراد والتُّركُمان والعَرَب، والشِّيعة من السُّنة، والأقباط من المسلمين، العلمانية تُريد هذا؛ ولذلك تريد خريطة أخرى للعالم، وبدلاً من ٢٠٠ دولة يصبح ٤٠٠ دولة".

ومضى يقول: "والسَّلفيُّ المتشدِّد يريد الخصوصية، يريد أن تَتْركه في حاله، يَلْبَس كما يشاء، ويُصَلِّي كما يشاء منعزلاً في مسجده؛ ولذلك تجد هذه السَّلفية التدميريَّة تبني برنامجًا كثير الجزئيات؛ حتى يعيش فيه الإنسان بعيًدا عن مُمارسة الحياة، إذًا فالسَّلَفية تَقْبلها العلمانية؛ ولذلك رأينا العلمانيَّة وهي تُبارك السَّلفية إلى أنْ لُدِغَت منها في المصالح، ولكن الفِكْرَ السَّلَفي هو الوجه الآخر للفِكْر العلماني وهو لا يدري"، على حَدِّ قوله.

ويستطرد مفتي مصر شارِحًا رؤيتَه: "عندما يَسْمع السَّلفيُّون هذا الكلام يَغْضبون، يقولون: لا.. نحن مُؤْمِنون، والعلمانيَّة كُفْر، أبدًا، العلمانية أصلاً لم يُنْكِروا

الدِّين، هم يريدون أن يُخَصِّصوا الدِّين أو يعزلوا الـدِّين، وأنـتم تريـدون أن تَنْعزلـوا بالدِّين، وهذه هي المشابهة".

وحول انتشار السلفيَّة، اعتَبر "جمعـة" أنَّ ذلـك جـاء كَـردَّة فِعْـل عـلى موجـات العلمانيَّة التي تَكْتسح المجتمعات الإسلاميَّة، وقال: "عندما تُريد هـذه المجتمعـات أن تتمسَّك بِهُويَّتها، فلا يكون عندها قدرة على التفكُّر، والوسطية والاعتدال، والانفتاح والترقُّب، فتُلْقي نَفْسَها في أحضان السَّـلفية؛ لأنَّ السـلفية حينئـذ سـتُمَثِّل لهـا هُويَّـة محدَّدة"؛ انتهى.

* * *

عفوًا فضيلة المفتي، ليست السلفية كالعلمانية!

وبعد هذا نقول: إنَّ الدكتور لم ينطلق انطلاقًا علميًّا مُؤصَّـلاً، في تَبْيـين العلاقـة المزعومة بين السَّلفية والعلمانيَّة، وليت شِعْري: أنَّى يجتمعان، وبينهما مِن الفـوارق مـا بين السماء والأرض؟!

إنَّ الدكتور يعشق مذهب التصوُّف، ويُعْلِن عنه، ويشرح كتُبَه، وحَسْبُنا هنا آخِـر ما نُشِر عنه في وكـالات الأخبـار قولـه: "الـذين يُحـاربون التصـوُّف ليلَـتُهم ظلـماء، وليلتهم أسود من قَرْن الخرُّوب".

وأضاف قوله: "الله منَّ على مصر بأنْ أوجَد الإسلام بها، ونرى الأزهر الشريف لا يَنتمي إليه إلاَّ من كان أشعريًّا أو صـوفيًّا، فالتصـوُّف رسـالة مـن الرسـائل التـي يحافظ عليها المِصريُّون، وهوالذي يُعْطي الشريعة وسَطِيَّتَها، والإسلامَ رُوحَـه، ولهـذا الدِّين معناه".

فلا غَرابةَ أن يَلْمِز - الدكتور - منهج السَّلَف وأتباعه، ولا غرابة أيضًا أن يُشِيد بالتصوُّف وأتباعِه ومَدارِسه، وقد أجاز لهم أن يَحْلفوا بالنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - لأنَّه ركن من أركان الإسلام، ونسَبَ هذا التَّجويز للإمام أحمد، كما ذَكَر عن الشافعي أنه كان صوفيًّا.

ونحن نقول للدكتور:

إنَّ الفارق بين السَّلَفية كمنهج - يُمثِّل العودة إلى الإسلام وشريعته - وبين العلمانيَّة فارقٌ كبير، وإنَّ الخلط بينهما مع التَّبايُن الواضح خلطٌ مفضوح، واستخفاف بالعقول.

إن العلمانية مذهب غربيٌّ طارئٌ على العالَم الغربي، مذهبٌ خارج على منهج الكنَسِيَّة والعبادة، منهج لا يَدِين لله تعالى بِسُلطان على البشريَّة، ولا يُعْطي لله حقًّا أن يمدَّ لها منهجًا ربانيًّا يُضِيء لها الطريق في هذه الحياة الدُّنيا، مذهبٌ لا يُعبِّد النَّاس لَربِّهم وخالقِهم، ولا يجعل لله تعالى دِينًا يحكمهم ويهديهم.

إنَّ العلمانية تَعْني: فَصْل الدِّين عن الحياة، فَصْل المخلوق عن منهج خالقه ومعبوده، فلا دَخْلَ للدِّين في شؤُون الإنسان، لا في مأكله وملبسه، ولا في اقتصادِه وحُكْمِه وسياسته، فلا يقول الدِّين للإنسان: هذا حلالٌ، وهذا حرام، ولا يقول أيضًا: هذا شِرْك، وهذا إيمان، إنَّ العلمانية في إيجاز هي اللاَّدين، وكما قال قائلهم: "دَعْ ما لِقَيصر لقيصر، وما لله لله".

إنَّ العلمانية تَعْني: الطَّعن في الشريعة الإسلامية، وأنها شريعة بالِيَة ذاتُ طقوس وشعائر لا تُمارَس إلاَّ في دور العبادة.

وإن العلمانية تعني: إحياء الوثنيَّات القديمة، كالفِرْعونيَّة وغيرها، وإشغال الأجيال بتعظيم هذا التُّراث البائد، ودَعْم المُؤَسَّسات ودُور الثَّقافة؛ لإحياء الجاهلية من جديد على صفحة التاريخ البشَرِي.

وإن العلمانية تعني: الوقوف أمام تَحْكيم الشريعة الإسلامية؛ لأنَّها عندهم ليست مَنْهج حياة، وهذا عَصْر الحُرِّية وزمانُها، فلْيَعبد مَن شاء ما شاء.

وإن العلمانية تعني: مُحاربة القِيَم والأخلاق والحضارة الإسلامية؛ لأنَّها تَعْمل على هَدْم العلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين العبد والمعبود، فلا رقابة لله عليه ولا سُلْطان، ولا ثوابَ ولا عقاب، ولا جنَّة ولا نار، فالمرأة في العلمانيَّة حُرَّة في جسَدِها تهَبُه مَن شاءَتْ، وتتحرَّك بإرادتها متى وكيف شاءت، فلا دين يَحْكُمها، ولا زوج يَأْمُرها، ولا أب يؤدِّبها، ولا قرآن يَهْديها.

وكذلك العمل على نَشْر الشُّذوذ الجنسي والإباحيَّة بلا خجل أو وجَل، فالعلمانية تعني الكُفْر بالآخرة؛ إذْ لا ثواب ولا عقاب، ومِن ثَمَّ لا حساب.

هذه هي العلمانيَّة في كلمات، والتي أراد الدكتور أن يساوي بها منهج السَّلف، في أنَّ السَّلفية جاءت كردَّة فعل للمجتمعات، كما حدث مع العلمانيَّة في الغرب، وهذا غريب جدًّا.

ونحن نسأل: ماذا قدَّمَت العلمانية للبلاد الإسلامية؟ وماذا أنتجَتْ من ثمار؟

إنَّ وجود العلمانية في بلاد الإسلام أدَّى بالأمَّة إلى الفرار، ولكن إلى مستَنْقَع الفاحشة والعُرْي والزِّنا، والفرار إلى الخنا والإباحيَّة، والإسفاف بالأخلاق والتميُّع بالقِيَم، فماذا حصدت الأمة من وراء ذلك؟

ما حصدت إلاَّ ضياع الأعراض، وانتهاك الحرُمات، وفساد الأخلاق وانحلالها، وانتشار الفواحش والعُرْي علنًا، وتمرُّد الأجيال، وانتشار الأوبئة والأمراض الخبيثة؛

كالزُّهري والسَّيَلان المنَوِي، وأخطرها مرض الإيدز المُدمِّر، والذي لا يزال الطِّبُّ الحديث عاجزًا عن معرفة طُرُق الشِّفاء منه.

وفَرَّت الأُمَّة كذلك إلى التعامل الرِّبَويِّ وإعلان الفوائد المحرَّمة، والإسهام في البورصات العالمية والاستثمارية، فما حصدَتْ إلاَّ انتشار الفقر والبطالة بين الأجيال المتلاحقة، وما حصدت إلاَّ انتشار الفساد الاقتصادي، والسرقة المُعْلَنة في مقدَّرات الأُمَّة وثرواتها وممتلكاتها.

وفرَّت الأمَّة أيضًا إلى تحكيم القوانين الوضعيَّة المستوردة، فما حصدت إلاَّ ضياع نعمة الأمن والأمان، وظهور الحرام بكلِّ صُوَره وأشكاله، من أَخْذِ الرِّشوة، والسرقة، وشهادة الزور، وأكل الرِّبا، وأكل أموال الناس بالباطل، وما حصدت إلاَّ استعباد الأُمَم الكافرة لها، وتحكُّمها فيها، وإدارة شؤونها وحياتها ومقدَّراتها، والعبث بِأَمْنِها وأخلاقها وعقيدتها، حتى صارت الأُمَّة قَصْعة مستباحة لكلِّ أحد، وغنيمة مُشْبِعة، ولعبة مسلِّية بأيدي العابثين.

هذه بعض الثِّمار المُرَّة للعلمانية المعاصِرَة في العالم الإسلامي، فضلاً عن آثارها وجراحها في العالَم الغَرْبي والأوربِّي نفسه، والتي لا طريق للخلاص منها إلاَّ بمنهج الله تعالى وشريعته.

أما السَّلفية من جانب آخر، فهي تَعْني: الاتِّجاه المقدَّم للنُّصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجًا وموضوعًا، الملتزِم بِهَدْي الرَّسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - وهَدْي أصحابه عِلْمًا وعَمَلاً، المُطَّرِح للمناهج المخالفة لهذا الهَدْي في العقيدة والعبادة والتشريع"[١].

أو هي: اصطلاحٌ جامع يُطْلَق للدلالة على منهج السلف الصالح في تلَقِّي الإسلام وفهمه والعمل به، وللدلالة على التَّمسُّك بهذا المنهج، والعَضِّ عليه بالنواجذ؛ إيمانًا وتصديقًا واتِّباعًا.

إن السَّلفية ليست مذهبًا مُبْتَدعًا، ولا طريقًا مخالِفًا، كلا، إنَّما السَّلفية تعني: الدَّعوة إلى الإسلام دين الله الحق، المُنَزَّل من عند الله تعالى، الذي أرسل به جميع أنبيائه ورسُلِه، هُداةً للعالَمين ورَحْمة لهم، وعلى رأسهم النبي محمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - الذي اصطفاه الله لهذه الدَّعوة والرِّسالة الخاتمة لجميع الدعوات والرِّسالات: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ: ٢٨]؛ الآيَةَ".

كما أنَّ الدعوة إلى منهج السَّلَف تعني: إقامة شريعة هذا الدِّين في الأرض، وإقامة عقائده وشرائعه ومبادئه وأخلاقه، كما أنَّها تَعْني صياغة الحياة البشريَّة كُلِّها بصبغة الربَّانية والعبودية لله تعالى وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ **أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣] الآية".

نعَمْ، صبغة قائمة على عبوديتها لله وحده، وإيمانِها بِكُتُبه ورسله، عبوديَّة قائمة على إفراد الخالق المعبود بالخَلْق والأمر؛ ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُّ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٤]، عبوديَّة لا تتَّجه إلاَّ على أصول العقيدة والتوحيد، ولا تقوم إلاَّ على الحقِّ والإيمان، فلا عقيدة تستقرُّ في القلوب إلاَّ عقيدة الإيمان بالله والإيمان برسله، والإيمان بكتبه وشرائعه، والإيمان بالبَعْث بعد الموت والدَّار الآخرة دار الجزاء الحقِّ، ولا شريعة تحكم الحياة البشرية وتُقَوِّم مسيرتها، وتهذِّب أخلاقها، وتُصْلِح مجتمعاتها، وتبني سياستها واقتصادها، وحَرْبها وسِلْمَها - إلاَّ شريعة هذا الدِّين الحق؛ لأنَّه الدِّين المُنَزَّل من عند الله وحده، فليس من دين غيره يُقْبَل عند الله كما قال

تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهَّ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩] الآية"، وكما قال أيضًا لمن اعتقد دينًا يَدين به سواه: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]؛ ولأنَّه الدِّين الذي ارتضاه لها: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣] الآية"، ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

ولأنَّه الدِّين الذي ضمَّنه الله تعالى كلَّ جوانب السعادة والهداية في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة، ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤] الآيات"، ولأنَّه دين الحقِّ الجامع لكلِّ مَظاهر الحياة البشريَّة وفق منهج الله تعالى، الشَّامل الكامل، والصَّالح لكلِّ زمان ومكان: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠].

إنها ليست دعْوَةً إلى قَمْع البشرية واستعبادها، والسيطرة على مُقَدَّرات الشعوب وأقواتها، ونَهْب أموالها وممتلكاتها، كما فعلَتْه في القرون المتأخِّرة الشيوعيَّةُ الخبيثة المادِّية، بأفكارها ومعتقداتها الإلحادية الكافرة، أو كما تفعله أمريكا وأوربا بِمُبارَكةٍ وتخطيط يهودي صليبي ماكر، أو حتىَّ ما يفعله أربابُ الأموال والثَّروات من الهنود واليابانيين والصينيِّين.

كما أنَّها ليست دعوة للخروج على حُكْم الله وشريعته، بِدَعاوى التقدُّم والعلم والانفتاح العلمي أمام البشريَّة مما يَجْعلها ليست في حاجة إلى شريعة تَحْكمها، ولا دين يُنَظِّم شؤون حياتها، كما أنَّها ليست دعوة مُستمدَّة من العقل والفكر البشري القاصر عن إدراك حقائق الأشياء، ولا الوصول إلى جميع مدلولاتها؛ لِيَصوغ لها قوانين بشرية في شتى مجالات الحياة، ثم يُحَكِّمها فيها، ويقول لها: هذا هو القانون العَصْريُّ الذي يتناسب مع طبيعة هذا الزَّمان.

كما أنها ليست دعوة أيضًا للتعدِّي على آداب الإنسان وحيائِه وحرُماته، وليست دعوة للفوضى والإباحيَّة، والفواحش والمنكرات على حساب شريعة الله والآخِرَة، لكنها دعوة ربَّانية طاهرة، تَسْمو بالإنسان إلى حيثُ هو عند الله من التَّكريم والرِّفعة، وتسمو بأخلاقه وآدابه فيرتفع بإيمانه بالله على دَنايا النَّفْس، وحُبِّ الشَّهوات واللذَّات التي تقودها كثيرًا إلى الهلاك والخسران"[٢].

فالسلفيَّة إذًا تعني العودة إلى منهج الإسلام وشريعته، والعودة إلى الكتاب والسُّنة بما كان عليه سلَفُ هذه الأُمَّة وصدرها الأول من أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - والتابعين لهم بإحسان.

فكيف يحقُّ إذًا أن نُساوي بين الحقِّ والباطل، وبين الإسلام والكُفْر، وبين الضَّلال والهداية؟! حقًّا إنَّه قياس فاسد، ورأي كاسد، حقًّا إنَّ التخبُّط بعيدًا عن نور العلم والحقِّ، زعمًا أنَّ وجه المشابهة بينهما هو الانعزال عن الحياة، والانخراط في جزئيَّات وفرعيات، لا تُحرِّك للأمَّة ساكنًا.

كان على الدكتور أن يبيِّن الفارق الكبير بين شباب عرَفُوا المساجد والمصاحف، والمَحاريب وحِلَق العلم، وبين شباب تائهٍ متسكِّع في مَحاريب الشيطان وأوكار الفاحشة.

وكان عليه أن يأخذ بيد الشباب إلى الله تعالى، وإلى سُنن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأن يستنقذهم من لوث الذُّنوب والأهواء، لكنَّه قام يَضْرب الحقَّ بالباطل، والباطِلَ بالحقِّ، وصدق الله تعالى إذْ يقول في كتابه: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ** ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٨].

كما كان على الدكتور أن يبيِّن للنَّاس أنَّ العلمانية طريقٌ إلى جنَّهم، فلَكَمْ أهلكَت الأُمَّة طويلاً، وأقْفرَت منها الآفاق في البلاد، واصْطَلَت بنارها وجحيمها!

كما كان عليه أن يقول للناس جميعًا: إن الذي يُخَطِّئ شيخ المُحدِّثين، ويُضَعِّف كتابه الصَّحيح - أَعْنِي البُخاريَّ رحمه الله - إنما هو أَخْرق مَعْتوه، لا يتكلَّم بميزان من الحقِّ والعلم.

وأن الذي يُبيح للأُمَّة أكْلَ الرِّبا من فوائد البنوك إنَّما هو مُسْتعْلٍ على الله وأَمْرِه، وأنَّ الذي يدعو إلى الشُّذوذ والإباحية إنما هو مُنْسَلِخ من الفطرة السَّويَّة، والعقيدة الربَّانية، وأن الذي يُبيح للناس شرب الدُّخان في نهار رمضان إنَّما هو صاحب هوًى لاَ اجْتهاد.

كما كان ينبغي عليه أن يقول كلمة الحقِّ في شأن العلمانيِّين والمنافقين، الذين يَسُبُّون أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في بلاد الأزهر، وصَرْح العلم، كما كان عليه أن يبيِّن للأُمَّة حُكْم الشريعة الإسلامية في مُنْكِري السُّنَّة النبوية، الجاحدين لها، والمُحارِبين لأهلها، وكذلك الحُكْم فيمن أنكَرَت الحجاب الشَّرعي الربَّاني، وأنكرت شرعيَّته وفضائله.

كما كان ينبغي عليه مع ذلك أن يبيِّن حُكْم الشَّرع في الحالف بغير الله تعالى، وكذلك الصَّلاة في المسجد الذي نُصِبَت فيه الأضرحة، وقامَتْ لغير الله وحده، وحكم الشَّرع في الذِّكْر الجماعي والتَّمايُل والصِّياح المرتفع، وحكم الشَّرع في شِرْك القبور.

كما كان عليه أن يبيِّن حكم الإسلام في وسائل الإعلام الفاسدة، ومَن يقومون على أمره من الفنَّانين والممثِّلين، والمُطْربين والمُخْرِجين، وكيف أنهم قادوا الأُمَّة إلى مستنقع آسنٍ عَفِن من الفاحشة والرَّذيلة باسْم الفن والتنوير.

وبعد كل هذا لست أدري هل يجوز لمسلم في أيِّ مَنْزِلة كان أن يُسَمِّي مُلازمة السُّنَّة، واتِّباعَ الحقِّ تشدُّدًا وتنطُّعًا؟! ولستُ أدري ما هو المقياس الحقُّ للوصول إلى معنى التَّشدُّد والتَّزمُّت، زَعَموا؟!

فهل اتِّباع السُّنة وملازمة هَدْي رسول الله الظَّاهر والباطن محسوب من التشدُّد؟! وهل بيان الحقِّ من الحلال والحرام، والسُّنة من البِدْعة - من التشدُّد؟! وهل البحْثُ عن أهل العلم الصَّادقين، الذين خالطَ الإيمانُ بشاشة قلوبهم وجوارحهم من التشدُّد؟! وهل معرفة حُكْمِ الله تعالى بلا متابعة الهَوى، ومُداهنة السُّلطان من التشدُّد؟! وهل بيانُ مَذاهب أهل البِدَع والأهواء، والمُخالفين لطريق أصحاب النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - من التشدُّد؟!

عفوًا يا دكتور؛ ما تُورَدُ المَسائل هكذا، وما يصحُّ القياس بهذا، إنَّ اختلال ميزان الحقِّ في القَلْب يُورِثُه اختلال الظَّاهر، والعكس بالعكس.

إن الأُمَّة اليوم لا تحتاج إلى مِثْل هذه العبارات المُلْهِبة للفِتْنة، لكنَّها في حاجة إلى عالِمٍ ربَّاني، وقائد بصير، يأخذ بها إلى منهاج الحقِّ والنُّبوة، ويَسير بها نَحْو سبُل النَّجاة، فمتى يعي هذا الدَّرسَ أبناءُ أُمَّتِنا، وحامِلو رايَتِها؟!

*** الهوامش:**

[١] "السَّلفية وقضايا العَصْر"، للدكتور الزنيدي، ص ٤٩.

[٢] "الدعوة السَّلفية"، عاطف الفيومي.

* * *

يا دكتور: متى تخرس الأقلام عن قول الزور

ذكرت في مقال سابق لي ردًا على فضيلة المفتي "الدكتور علي جمعه"، وكان عنوانه "عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية"، بعد أن شن حربًا على المنهج السلفي والسلفية وأتباعها، محاولًا في كلامه اللمز والغمز بالتيار السلفي، ومشبها له بالفكر الغربي العلماني، وقد بذل قصارى جهده في ذمه ورميه بالتخلف والرجعية والجمود، إلى آخر ذلك الكلام المموج علمًا وفكرًا، ونقلًا وعقلًا.

وها هو فضيلة المفتي "الدكتور علي جمعه"، يخرج لنا مقالًا جديدًا ينسب إليه إذا صح ذلك، مجددًا قوله الصراح، في الطعن في الاتجاه السلفي، زاعمًا فيه كمًا كبيرًا من الخلط الشرعي، والأكاذيب الواقعية التي يرميه بها.

وإني هنا لست في معرض بيان الأخطاء والمغالطات التي طالما رفع بها الدكتور صوته، ولم يستحي إطلاقًا من المجاهرة بها على الملأ إعلاميًا وداخليًا وخارجيًا، لكن على هامش مقاله أدون.

فهذه ليست المرة الأولى التي يتوجه الدكتور إلى غمز ولمز "الاتجاه السلفي"، طاعنًا فيه، خاصة بعد أحداث الثورة المصرية وتطوراتها، والتخويف الكاذب من فزاعة "الإسلاميين" و"الدولة الدينية"، وهذا بعض مما جاء فيه باللغة الإنجليزية:

(أ) Most disturbingly, the past few weeks have seen a very disturbing rise in violence from extremist quarters targeted at places of religious significance. Both Coptic churches and the graves of important Muslim personalities have been attacked. These are alarming developments, and especially so in light of the fragile state of our country at this crucial juncture. They need close attention and to be stopped so that the religious, social and political integrity of the country remains intact.

(ب) When the idealistic view of society envisioned by those who call themselves Salafis fails to come to pass this can then cause dangerous further radicalism. The fact that the past they idealize is a figment of their imagination and thus necessarily unattainable becomes an engine of radicalization fuelled by their inevitable frustration.

(ج) Sadly, this dangerous mix of isolationism and idealism can also feed into an undeserved self-confidence, indeed arrogance. Taken together all this comprises a spiritual malaise which is integral to the disease of extremism, and can only be countered by a truly Islamic spiritual base([1]).

أما الخبر بالعربية فقد نشرت صحيفة "مفكرة الإسلام الإلكترونيـة": "في مقـال بعث به مفتي الديار المصرية إلى صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية، شن الـدكتور "علي جمعة" حملة شديدة على أصحاب التوجه السـلفي في مصر، مـتهمًا إيـاهم بـأنهم يشكلون خطرًا حقيقًا؛ لأنهم من يقفون وراء استهداف الكنائس والأضرحة في مصر - حسب تصريحه -.

وقال جمعة: "إن الأسابيع القليلة الماضية شهدت صعودًا مقلقًا للعنف مـن قبـل أوساط متشددة استهدفت أمـاكن تحتـل أهميـة دينيـة، فقـد تعرضـت كنـائس قبطيـة وأضرحة لشخصيات إسلامية هامة لهجـمات. وهـذه تطـورات تـدق مقلقـة للغايـة، وخاصة في ضوء الوضع الهش لبلدنا في هذا المنعطف الخطير".

كما قال: "هؤلاء الذين يقومون بتلك الهجمات الشائنة ليسوا إلا منتهـزي فـرص ومتشددين، لا يمتون بصلة إلى التراث الإسلامي العظيم".

كما اتهم جمعة أصحاب "الاتجاه السلفي" بأن تفكـيرهم رجعـي حيـث يريـدون العودة إلى (المـاضي)؛ حيـث قـال: "للأسـف، فهـؤلاء الـذين يقومـون بمثـل تلـك الهجـمات البربريـة ضـد الشـعب المصري ومؤسسـاتهم الثقافيـة والدينيـة لا يهـدفون ببساطة إلى إظهار مثالية الماضي، بل إلى عودة تامة إليه بكل تفاصيله وتفصيلاته".

وتابع يقول: "وهذا التفكير الرجعي هو مشكلة في حد ذاته، ولكن الأكثر سوء عندما يتم طرحه على أنه المعيار الذي يجب أن يلتزم به جميع المسلمين، بينما من لا يفعل منهم يتم توبيخه والتشكيك في صحة إيمانه. وهذه القوى قد زرعت الشقاق في المجتمع كما عزلت بعض شرائح المجتمع المسلم عن الآخرين"، على حد قوله.

كما وصف مفتي مصر السلفيين بأنهم جماعة متحجرة منعزلة رافضة للحياة معادية للمجتمع وللعالم تسعى لشق الصف ونشر التشدد الديني، زاعمًا أن تصرفاتهم لا تمت للإسلام وأن أفكارهم تزرع الشقاق في المجتمع وأخطر من ذلك أنهم يجعلون منهجهم هو المعيار الذي يجب أن يكون عليه المسلمون.

كما تضمن المقال تحذيرًا للأمريكان من هؤلاء السلفيين الذين يسببون مزيدًا من التطرف - على حد وصفه -، معتبرًا أنه يجب عليهم تركيز الانتباه على هؤلاء السلفيين وإيقافهم للحفاظ على سلامة البلد الدينية والاجتماعية والسياسية حسب تصريحه.

ويأتي هذا التصريح لإحدى أهم الصحف الأمريكية فيما نظر إليه بعض المراقبين على أنه أشبه ما يكون برسالة استغاثة موجهة إلى الأمريكان للاستقواء بهم على السلفيين في مصر.

وكانت مصادر التحقيق المصرية قد نفت بشكل قاطع مسئولية السلفيين عن هدم الأضرحة، كما أن أصابع الاتهام قد أشارت إلى وقوف وزير الداخلية السابق حبيب العادلي وراء تفجير كنيسة القديسين بالإسكندرية، وإلى مسئولية فلول الحزب الوطني المنحل عن حالات الاحتقان الطائفي الأخيرة بين المسلمين والنصارى، في ظل تأكيد رموز العمل السلفي على التحذير من خطر الفتنة الطائفية ودعوتهم

لكشف الجهات التي تقف وراءها؛ بهدف إشاعة الفوضى والفتنة فيما أسموه بـالثورة المضادة.

ويندرج مقال مفتي مصر، وهو صوفي ينتمـي للطريقـة الجعفريـة، ضـمن حملـة شرسة تتعرض لها التيارات السلفية في مصر في أعقاب استفتاء التعديلات الدستورية الذي أظهر زخمًا وانتشارًا واسعًا وتأثيرًا كبيرًا للسلفيين ومشايخهم لدى جموع الشعب المصري.

وظهرت بوادر أزمة بين الطرق الصوفية والجماعـات السـلفية في مصر عـلى إثـر انتشار تقارير في وسائل الإعلام تتحدث عن دعوات سـلفية لإزالـة الأضرحـة مـن جميع مصر، الأمر الذي نفته رموز الدعوة السلفية بشدة.

مؤكدة أن ما قيل يعد جزءًا من سلسلة الشـائعات التـي تسـتهدف زعزعـة ثقـة المصريين في الدعوة، ومعتبرة أيضًا أن ما حدث من تصرفات فردية في هذا الشـأن لا يُنسب إليها.

وقد دأب مفتي مصر علي جمعة على مهاجمة التيار السلفي الـذي يؤكـد مراقبـون أنه بات الأكثر انتشـارًا بـين فئـات المجتمـع المصري، وهـو مـا دللـت عليـه نتيجـة الاستفتاء على التعديلات الدستورية.

كما اعتاد جمعة في مقابلة على الإشادة بالتيار الصوفي الذي ينتمي إليه.

ومن أعجب تصريحات المفتي في هذا الشأن أنه اعتبر في تصريح لـه إبـان عهـد الرئيس المخلوع حسني مبارك، التيار السلفي، "أقرب ما يكـون إلى العلمانيـة منـه إلى الإسلام"([2]). انتهى.

* * *

وهنا نستخلص عدة أمور مهمة وخطيرة مما سبق، وإن كان الكلام كثيرًا لكن حسبي ما يلي:

الأول: الحرب على الاتجاه السلفي ليست جديدة:

هذه حقيقة لا يجب أن تغيب عن أذهان المسلمين على الإطلاق، ولا أن يذعنوا للمخالفين لها، فإذا كان التوجه السلفي مناديًا بالعودة إلى الإسلام الصافي الصحيح وفق منهج السلف، فقد صار هذا من الأهمية اليوم بمكان، فإن التيار السلفي أقرب من يمثله ولا ريب.

ومن هنا فلا غرابة على الإطلاق أن تتوجه السهام والرماح إليه، بالاتهامات الباطلة، والأكاذيب الشائعة، والحرب الضروس إعلاميًا وفكريًا.

وقد أكد أهل العلم مرارًا على أن السلفية منهج الإسلام، لا فرقة ولا جماعة، لكنها الإسلام في صفائه ووضوحه، وبينوا ذلك كثيرًا، لكن أين من يسمعون صوت الهدى والحق.

وإن أصحاب القلوب المريضة، التي لا تبحث عن حقائق الشريعة الإسلامية بصفائها وشمولها، وكذلك أصحاب الأهواء والفرق والبدع، وكذلك أهل النفاق والعلمنة وأذنابهم، كل هؤلاء لا يريدون حقيقة العودة إلى الإسلام الصافي من البدع والخلط والأهواء، أو الإسلام الشرعي، لكنهم إما أصحاب أهواء وأغراض ومصالح، وإما أصحاب جهل وضلال.

ومن هنا فإنهم يستقطبون السذج من الناس والرعاع إلى أفكارهم وأهوائهم، ويرفعون سيوف الإرهاب الفكري ضد من يسمونهم "السلفيين" أو أصحاب "الفكر الوهابي" زعموا.

وحسبنا أن نرى خبرًا من أخبارهم حيث "وزعت جماعات صوفية، خلال أحد احتفالاها بمدينة طنطا (حوالي ٩٢ كم شمال القاهرة)، منشورات تهاجم التيارات السلفية وتصفها بأنهم "مرتزقة" و"أخطر أعداء الإسلام".

وخلال احتفال الآلاف من أتباع الطرق الصوفية بما يُسمى "المولد الرجبي للسيد البدوي".

وهو احتفال بدعي لا يُعرف له أصل في الشريعة الإسلامية، فضلًا عما يرتكب خلاله من المنكرات والبدعيات، وزع عشرات الصوفية منشورات وبيانات تحمل عنوان: "من هم السلفية".

وتصف هذه المنشورات السلفيين بأنهم "جماعة إسلامية تكفيرية متشددة"، وتزعم أن السلفيين "يضمون مرتزقة، وهم أخطر أعداء الإسلام"، فيما وزع آخرون منشورات تطالب بتأسيس حزب سياسي صوفي لـ"مواجهة المد السلفي"، بحسب صحيفة "المصري اليوم".

وتأتي تلك المنشورات التي تهاجم التيارات السلفية ضمن حملة شرسة تتعرض لها الجماعات السلفية في مصر في أعقاب استفتاء التعديلات الدستورية الذي أظهر زخمًا وانتشارًا واسعًا وتأثيرًا كبيرًا للسلفيين ومشايخهم لدى جموع الشعب المصري.

وظهرت بوادر أزمة بين الطرق الصوفية والجماعات السلفية في مصر على إثر انتشار تقارير في وسائل الإعلام تتحدث عن دعوات سلفية لإزالة الأضرحة من جميع مصر، الأمر الذي نفته رموز الدعوة السلفية بشدة؛ مؤكدة أن ما قيل يعد جزءًا من سلسلة الشائعات التي تستهدف زعزعة ثقة المصريين في الدعوة، ومعتبرة أيضًا أن ما حدث من تصرفات فردية في هذا الشأن لا يُنسب إليها"([3]).

فهؤلاء وغيرهم يحاربون "الاتجاه السلفي" بقوة وبكل متاح، خاصة بعد سقوط النظام الحكومي السابق، في ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ م.

* * *

الثاني: للمرة الثانية عفوًا فضيلة الدكتور عليك الانقياد للحق:

وها أنا أقول للدكتور على جمعة للمرة الثانية بعد مقالي الأول، يا دكتور: لمصلحة من تعلن هذه التصريحات والكتابات المؤلمة؟، لمصلحة من تشن حربك وسهامك الباطلة، على المنادين بالعودة إلى حقائق الإسلام الصحيحة الصافية وفق منهج السلف؟، لمصلحة من تنشر هذه الأكاذيب شرعًا وعقلًا وواقعًا؟.

هل لمصلحة الحكومات والسياسات البشرية الهزيلة؟

أم هل لمصلحة الأمريكان والأوربيين والصهاينة اليهود؟

أم هل لمصلحة جماعة وفرقة الصوفية والأضرحة والقبوريين؟

أم لمصلحتك الشخصية وأهوائك الذاتية؟

صدق القائل:

أوردها سعد وهو مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

يا دكتور: ما هكذا تكون لغة العلم والحوار، وما هكذا تصحح الأفكار كما تزعم في أقوالك واتهاماتك.

إنني أعتقد أنك صاحب علم وفكر وبحث واطلاع، فليتك تخلوا بنفسك ساعة من ليل أو نهار، وتركن إلى ربك، ثم إلى علمك وفكرك، فتطلع على منهج السلف الصالح، وتقف مع علمهم وفقههم وملازمتهم للكتاب والسنة، ثم تقرأ من

أخبارهم وسيرهم وعقيدتهم، ثم ترى حولك، هل ترى اليوم من غبار على أتباعهم، هل ترى عليهم من جهالة بحق، هل هم غيروا منهج السلف وعقيدتهم وفقههم.

إنني اعتقد أنك لو أخلصت قلبك وعلمك وفكرك لله تعالى، وتجردت بحق من ذاتك ونفسك لعلمت أن هؤلاء أصحاب علم وبصيرة وحق، ولعلمت أنهم فتية آمنوا بربهم وشرعيتهم حكمًا ومنهاجًا، وأنهم على درب الهدى والحق لا يحيدون عنه.

ولكن يا دكتور:

ليتك تفعل ذلك، وليتك تعود إلى الحق والهدى، وليتك تقف أمام الانحرافات والضلالات الصوفية، والتي كانت سببًا حقيقًا من أسباب تأخر دولة الإسلام والعلم، كما كانت سببًا في سقوط الخلافة الإسلامية بسبب تواكل الأمة وانشغالها بغير كتاب وسنة.

لماذا الدكتور لا يحارب العلمانيين والمنافقين، الذين ضيعوا الأمة الإسلامية وجروها إلى العبث بهويتها ودينها وتراثها الإسلامي والعربي.

ولماذا لم يقف الدكتور أمام البدع والخرافات من أهل التصوف المعاصرين والقدامى على حد سواء، ويبين للناس طريق الحق والسنة، ويبين لهم أن السلفيين يحبون أهل البيت ويصلون عليهم كل صلاة.

ولماذا لم يقل لهم أن الملتزمين عامة والسلفيين خاصة، حرصوا على أمن بلادهم وأوطانهم، حتى غيرهم من النصارى حافظوا عليهم، فلم تهدم لم كنسية، ولم يعتدى على قسيس، بل دافعوا عنهم، ووقفوا معهم، بل ودعوا إلى حمايتهم وبناء كنيستهم التي هدمت، لأحداث خاصة لا علاقة لها بما يجري الآن.

ولماذا لم يرد الدكتور على المنسلخين من قيمهم وأخلاقهم من أصحاب الفن الهابط الرخيص، والذين ينشرون الفاحشة في الذين آمنوا في أغانيهم وأفلامهم ومسلسلاتهم الهابطة.

ولماذا لم يشنع على الذين اتهموا علامة الزمان في الحديث وشيخ المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري بأنه لا يعلم شيئًا في الحديث.

ولماذا لم يرد على من أجاز شرب الدخان في الصيام، وقال أنه لا يفطر الصائم، وأن المرتد عن دين الإسلام بعد إسلامه واختياره كافر يقتل ردة وحدًا.

ولماذا لم يرد على الذين يسبون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجرائد الصفراء والمغرضة، ويتطاولون على القمم من أهل العلم والإسلام.

ولماذا لم يبين للناس أن حكم الطواغيت والظالمين ظلم للشعوب المسلمة، وهضم لحقها الإسلامي والإنساني معًا، وأنه يجب العودة إلى أحكام الإسلام الصافية الكاملة في جميع شؤون الحياة كلها سياسة واقتصادًا وإعلامًا وسلوكًا وأخلاقًا.

ولماذا يستجدي عطف الأمريكان وجهلهم بحقائق الإسلام وما يجري في بلادنا، ضد أبناء دينه ووطنه وأمته.

ولماذا لم يرد القول على الدكتور يحيى الجمل، ويرد الباطل من قوله والافتراء الكاذب على الله ودينه، وبيان حكم الإسلام في كلامه وأقواله.

لماذا دائمًا لا تصوب سهام الخذلان، والكيد والخسران دائمًا، إلا لأهل الحق والسنة والإيمان.

* * *

الثالث: شباب السلفية أصحاب فكر وتربية ومنهج وليسوا انتهازيين:

نعم يجب علينا أن نفهم هذا جيدًا، "شباب السلفية أصحاب فكر وتربية ومنهج وليسوا انتهازيين"، كما يتقول ذلك كل متربص مريض القلب، ولا يعني هذا أنهم براء كبشر من الوقوع في الخطأ، والانزلاق في الفكر، كلا..، قد يقع بعض الأفراد منهم ولا ريب في خطأ ما، وقد تزل قدمه في منزلق ما، لأنهم بشر، ليسوا بمعصومين، ولا بمحفوظين من ذلك، وهذا نص حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون". رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي.

ولكن وقوعهم في الخطأ لا يعني أن يعم الخطأ على منهج صحيح بأكمله، ولا أن نظن بأصحابه ظن السوء والجاهلية، إذًا لو فعلنا ذلك، فمن حق أهل الكفر والضلال أن يقولوا عن الإسلام دين الإرهاب والتطرف زعموا، بسبب وقوع بعض المسلمين في أخطاء هنا وهنالك.

ومن حق الناس اليوم - في ظل تعدد التيارات والاتجاهات والجماعات - أن تعرف حقيقة السلفية وأصولها، وأن تعرف حقيقة أتباعها وشبابها، ليكونوا على بينة من أمرهم.

إذًا لا بد لنا من روح الحق والعدل والإنصاف، وألا نحمل خطأ ما على حساب المنهج وحملته، لكن الذي ينبغي أن يقال بحق، إن علماء الدعوة السلفية وشبابها وأتباعها، لا ينطلقون إلا من ميدان شرعي صحيح، ولا ينطلقون إلا من فهم واقعي عميق، فهم أصحاب تربية ناضجة، لأنهم أقرب للحق من غيرهم، شباب تربوا على اتباع الكتاب والسنة من منابع صافية، لم تكدرها بدع ولا أهواء، ولم تكدرها مصالح ولا منافع، شباب تربوا على التأصيل بالدليل، فكل كلامهم قال الله قال الرسول "الكتاب والسنة".

شباب مؤمن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فهو مؤمن بدينه إيمان محب له، ومقتنع به، ومغتبط به، يرى الظفر به غنيمة ، والحرمان منه خسراناً مبيناً.

شباب يعبد الله مخلصاً له الدين وحده لا شريك له. شباب يتبع رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - في قوله وعمله، فعلا وتركاً، لأنه يؤمن بأنه رسول الله وأنه الإمام المتبوع. شباب يقيم الصلاة على الوجه الأكمل بقدر ما يستطيع، لأنه يؤمن بما في الصلاة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية، الفردية والاجتماعية، وما يترتب علي إضاعتها عواقب مخيمة للأفراد والشعوب.

شباب يؤتي الزكاة إلى مستحقيها كاملة من غير نقص، لأنه يؤمن بما فيها من سد حاجة الإسلام والمسلمين مما اقتضى أن تكون به أحد أركان الإسلام الخمسة.

شباب يصوم شهر رمضان فيمتنع عن شهواته ولذاته إن صيفاً وإن شتاءً؛ لأنه يؤمن بأن ذلك في مرضاة الله فيقدم ما يرضاه ربه على ما تهواه نفسه. شباب يؤدي فريضة الحج إلى بيت الله الحرام؛ لأنه يحب الله فيحب بيته والوصول إلى أماكن رحمته ومغفرته، ومشاركة إخوانه المسلمين القادمين إلى تلك الأماكن.

شباب يؤمن بالله خالقه وخالق السموات والأرض، لأنه يرى من آيات الله سبحانه ما لا يدع مجالا للشك والتردد في وجود الله. فيرى في هذا الكون الواسع البديع في شكله ونظامه ما يدل دلالة قاطعة على وجود مبدعه وعلى كمال قدرته وبالغ حكمته؛ لأن هذا الكون لا يمكن أن يوجد نفسه بنفسه ولا يمكن أن يوجد صدفة لأنه قبل الوجود معدوم والمعدوم لا يكون موجداً لأنه هو غير موجود.

ولا يمكن أن يوجد صدفة، لأنه ذو نظام بديع متناسق لا يتغير ولا يختلف عن السنة التي قدر له أن يسير عليها: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهَّ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهَّ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: الآية٤٣]، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ

تَرَى مِنْ فُطُور* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك:٣-٤].

وإذا كان هذا الكون على نظام بديع متناسق امتنع أن يكون وجوده صدفة؛ لأن الموجود صدفة سيكون انتظامه صدفة أيضاً، فيكون قابلاً للتغير والاضطراب في أي لحظة.

شباب يؤمن بملائكة الله؛ لأن الله أخبر عنهم في كتابه، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبر عنهم في السنة. وفي الكتاب والسنة من أوصافهم وعباداتهم وأعمالهم التي يقومون بها لمصلحة الخلق ما يدل دلالة قاطعة على وجودهم حقيقة.

شباب يؤمن بكتب الله التي أنزلها على رسله هداية إلى الصراط المستقيم؛ لأن العقل البشري لا يمكنه إدراك التفاصيل في مصالح العبادات والمعاملات.

شباب يؤمن بأنبياء الله ورسله الذين بعثهم الله إلى الخلق يدعونهم إلى الخير ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وأول الرسل نوح وآخرهم محمد - عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام -.

شباب يؤمن باليوم الآخر الذي يبعث الناس فيه أحياء بعد الموت ليجازوا بأعمالهم ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] لأن ذلك نتيجة الدنيا كلها فما فائدة الحياة وما حكمتها إذا لم يكن للخلق يوم يجازى فيه المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

شباب يؤمن بالقدر خيره وشره، فيؤمن بأن كل شيء بقضاء الله وقدره مع إيمانه بالأسباب وآثارها، وأن السعادة لها أسباب والشقاء له أسباب.

شباب يدين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فيعامل المسلمين بالصراحة والبيان، كما يحب أن يعاملوه بهما، فلا خداع ولا غش ولا التواء ولا كتمان.

شباب يدعوا إلى الله على بصيرة حسب الخطة التي بينها الله في كتابه: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل: الآية١٢٥].

شباب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ لأنه يؤمن أن في ذلك سعادة الشعوب والأمة ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: الآية١١٠]، شباب يسعى في تغيير المنكر على النحو الذي جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه".

شباب يقول الصدق ويقبل الصدق، لأن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

شباب يحب الخير لعامة المسلمين؛ لأنه يؤمن بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

شباب يشعر بالمسئولية أمام الله وأمام أمته ووطنه، فيسعى دائماً لما فيه مصلحة الدين والأمة والوطن بعيداً عن الأنانية، ومراعاة مصلحته الخاصة على حساب مصلحة الآخرين.

شباب يجاهد لله وبالله، يجاهد بالإخلاص له فلا رياء ولا سمعة ويجاهد بالله مستعيناً به غير معجب بنفسه ولا معتمد على حوله وقوته، ويجاهد في الله في إطار

دينه من غير غلو ولا تقصير، يجاهد بلسانه ويده وماله حسبما تتطلبه حاجة الإسلام والمسلمين.

شباب ذو خلق ودين، فهو مهذب الأخلاق، مستقيم الدين، لين الجانب رحب الصدر، كريم النفس، طيب القلب صبور متحمل لكنه حازم لا يضيع الفرصة ولا يغلب العاطفة على جانب العقل والإصلاح.

شباب متزن منظم يعمل بحكمة وصمت مع إتقان في العمل وجودة لا يضيع فرصة من عمره إلا شغلها بما هو نافع له ولأمته.

ومع أن هذا الشباب محافظ على دينه وأخلاقه وسلوكه فهو كذلك بعيد كل البعد عما يناقض ذلك من الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان والأخلاق السافلة والمعاملة السيئة.

فهذا القسم من الشباب مفخرة الأمة ورمز حياتها وسعادتها ودينها، وهو الشباب الذي نرجو الله من فضله أن يصلح به ما فسد من أحوال الإسلام والمسلمين وينير به الطريق للسالكين، وهو الشباب الذي ينال السعادة في الدنيا والآخرة([4]).

هذه حقيقة الشباب المسلم السلفي، والمتدين عمومًا بمنهاج الإسلام، لأن ما ذكرته هو منهاج الإسلام، وليس بدعًا من القول أو شططًا فيه.

ولا يعني كما أكدت أنهم لا يذنبون ولا يخطئون، لا إنهم كغيرهم بشر، لكن علينا ألا نحمل شبابنا وأمتنا ما لا تحتمل من التهوين والتهويل من قيمهم وأخلاقهم.

كما يجب علينا أن نمد لهم يد العون، ويد الحوار والنقاش، وأن نفتح الباب لتلاقي القلوب والعقول، ومدارسة محل الخلاف والاختلاف، بأدب الحوار والعلم، حتى نخرج بالتوجه الصحيح، والنقد البناء.

أما أن نشهر سيوف الإرهاب الفكري، والرمي بالبهتان، وقذف الناس بالباطل، فهذا ما لا يرضاه دين ولا علم ولا خلق على الإطلاق.

وكفى الأمة فرقًا وجماعات، وكفى عصبية وتفرقًا واختلافًا، لا نريد سوى الحق، ولا نريد سوى العدل والإنصاف، واحترام الآخر بمزيد من الحب والأدب والنقاش.

*** الهوامش:**

([1]) موقع صحيفة؛ واشنطن بوست.

([2]) موقع مفكرة الإسلام الإلكترونية وقد رددت عليه في مقال "عفوًا فضيلة المفتي ليست السلفية كالعلمانية".

([3]) مفكرة الإسلام الإلكترونية.

([4]) مشكلات الشباب. لابن عثيمين.

* * *

فهرس الكتاب

الفهرس

❊ ❊ ❊

صدر للشيخ

كتاب

مجالات الدعوة

إلى القرآن وأصولها

وكتاب

ماذا يريد الشيعة

من العالم الإسلامي؟

